د . مصطفى محمود



الإسلام في خندق

كتاب اليوم

قطاع الثقافة

يصدر عن دار
أخبار اليوم
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

رئيس التحرير :

نبيل أباظة

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	١٧	درهم
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١	دينار
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	دينار
سلطنة عمان	١	ريال
غزة	١٥٠	سنت
ج. اليمنية	١٥٠	ريال
الصومال نيجريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنك
الإمارات	١٠	درهم
قطر	١٠	ريال
انجلترا	١,٧٥	جك
فرنسا	١٠	فرنك
المانيا	١٠	مارك
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٤٨ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٥ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٠ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٥ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت: ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس: ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى: ٣٠٣٢١

● تلكس محلى: ٢٨٢

الحب القديم

الناس يفهمون الدين على أنه مجموعة الأوامر والنواهى ولوائح العقاب وحدود الحرام والحلال .. وكلها من شئون الدنيا .. أما الدين فشىء آخر أعمق وأشمل وأبعد.

الدين فى حقيقته هو الحب القديم الذى جئنا به إلى الدنيا والحنين الدائم الذى يملأ شغاف قلوبنا إلى الوطن الأصل الذى جئنا منه والعطش الروحى إلى النبع الذى صدرنا عنه والذى يملأ كل جارحة من جوارحنا شوقا وحنينا .. وهو حنين تطمسه غواشى الدنيا وشواغلها وشهواتها .

ولا نفيق على هذا الحنين إلا لحظة يحيطنا القبح والظلم والعبث والفوضى والاضطراب فى هذا العالم ، فنشعر أننا غرباء عنه واننا لسنا منه وأنما مجرد زوار وعابرى طريق ، ولحظتها نهفو إلى ذلك الوطن الأصل الذى جئنا منه ونرفع رؤوسنا فى شوق وتلقائية إلى السماء وتهمس كل جارحة فينا .. يا الله .. أين أنت ؟.

ولحظة نخطىء ونتورط فى الظلم وننحدر الى دركات الخسران فننكس الرؤوس فى ندم وندرك أننا مدانون ، مسئولون .. فذلك هو الدين ..ذلك الرباط الخفى من الحنين لماض مجهول .. وذلك الاحساس بالمسئولية وبأننا مدينون أمام ذات عليا .. وذلك الاحساس العميق فى لحظات الوحدة والهجر بأننا لسنا وحدنا وانما نحن فى معية غيبية وفى أنس خفى وأن هناك يدا خفية سوف تنتشلنا وذاتا عليا سوف تلهمنا وركنا شديدا سوف يحمينا وعظيما سوف يتداركنا .. فذلك هو الدين فى أصله وحقيقته ومابتبقى بعد ذلك من أوامر ونواه وحرام وحلال وأحكام وعبادات هى تفاصيل ونتائج وموجبات لهذا الحب القديم .

ولكن الحب هو رأس القضية .. وإذا غاب ذلك الحب فان كل العبادات والطاعات لن تصنع دينا ولن تصنع متدينا مسلماكان أو مسيحيا أو يهوديا ، وماكان الصليبيون الذين جاءونا غزاة طامعين ..على دين .. أى دين .. ولاكان سفاحوالصرب الذين يقتلون الأبرياء على أى ملة من ملل النصارى ولا كان إرهابيو اليوم الذين يفجرون القنابل مسلمين .. ولو صلوا جميعا ولو صاموا الدهر ولو أطالوا اللحى وقصروا الجلابيب وحملوا المصاحف ورتلوا الآيات ..ما بلغوا من الدين شيئا .

وهل بلغ النبى يحيى(يوحنا المعمدان) عليه الصلاةوالسلام مابلغه من نبوة إلا بذلك الحنان الذى كان يفيض منه ، والذى قال فيه ربه : « وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا » (١٣- مريم) فتلك كانت أركان نبوته .. الحنان والزكاة والتقوى ، ونبينا عليه الصلاة والسلام الذى كان يحتضن جبل أحد ويقول : هذاجبل يحبنا ونحبه .. حتى الجماد كان موضع حب النبى وتوقيره . وهذا ابن عربى يقول : لن تبلغ من الدين شيئا حتى توقر جميع الخلائق ، وهذا ربنا يقول عن المؤمنين : « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » (٣ - الحجرات) فالقلوب هى دائما موضوع الامتحان وحب الله وحب ما خلق وماصنع من أرضين وسموات ونبات وحيوان وبشر هو جوهر كل الديانات الحقة .. وهو المقياس الذى نفرق به بين أهل الدين .. والأدعياء المشعوذين والكذبة وكل الدعاة الذين يغرقون أتباعهم فى التفاصيل والقشور والمظاهر ويبتعدون بهم عن روح الدين .. عن الحب والرحمة والتقوى ومكارم الاخلاق .. هم من الكذبة بقدر بعدهم عنها وما كان اعتراض المسيح على الفريسيين إلا لإغراقهم فى الجدل وفى حرفية النصوص وفى ظاهر الكلمات دون التفات الى روحهاوماكانت نقمة موسى على اليهود حينما أمرهم بأن يذبحوا بقرة .. إلا لإغراقهم فى الجدل والتنطع والسؤال .. أى بقرة تكون وما لونها ؟ . بنية هى أم مرقشة أم صفراء .. عجوز أم بكر.. « أدع لنا ربك يبين لنا ما هى » .. أو لعلك تهزأ بنا .. هذا الجدل والغرق فى التفاصيل والتحجر على الحروف والكلمات أخرجهم من الدين فى نظر موسى واستحقوا عليه التقريع واللوم .

وللأسف الشديد التدين اليوم خرج من روح التدين بسبب انحراف الدعوة وانحراف أكثر الدعاة وإغراقهم فى القشور والتفاصيل والخلافيات والأمور الثانوية مماألقى بأكثر المسلمين الى الاختلاف والجدل ، ومما خلق الذرائع لمحترف الارهاب ولهواة التعصب ومما أوجد هذا التدين السطحى المتهوس الأبله ، وأرى أننا مطالبون اليوم أكثر من أى يوم مضى بالعودة الى روح الاسلام والى نبعه الشامل .. الى فضائل الحب والرحمة والمودة والتقوى وسعة الصدر مع الخصوم وتدبر معانى النصوص وعدم الوقوف عند حروفها وقراءة القرآن بالقلب وليس بالأحداق .

والاسلام ليس ألغازا وليس لوغاريتمات ولا يحتاج منا الى كل تلك الفتاوى .

والنبى عليه الصلاة والسلام أجاب من سأله عن الاسلام فقال فى كلمات قليلة بليغة :

« قل لا اله إلا الله ثم استقم »

هكذا ببساطة .. كل المطلوب هو التوحيد والاستقامة على مكارم الأخلاق .

إنها الفطرة والبداهة التى نولد بها لا أكثر ، أن تحب أخاك كما تحب نفسك .

اسأل نفسك .. هل تنام كل يوم على مودة وحب ورغبة فى الخير ونية فى عمل صالح أم على غل وكراهية وحسد وتربص ؟.. وستعلم الى أى مدى أنت على دين الاسلام .

ماذا تخفى فى طيات ثيابك .. هل تخفى خنجرا أو مسدسا .. أم تخفى هدية حب ورسالة خير لإخوانك؟

هل تخطط لتبنى أم لتهدم ؟!.

هل تنطق بالطيب من القول وبالنافع من الكلام أم تدعو الى الخراب والدمار والفتن ؟.

إن الدين لايحمل سيفا إلا للدفاع عن مظلوم ولايعرف العنف إلا اصلاحا .

بهذه المقاييس تعرف نفسك وتعرف الخانـة التى يقف فيها ذلك الداعية الذى يدعوك الى الاسلام.. وتعلم أين يقف.. مع الدين أم مع الاجرام .

إن الفطرة والبداهة دليلك.. ولست فى حاجة الى فقه أو فلسفة أو فتوى .

قلبك يفتيك .

إنه الحب .. قلـب القضية وروحها .. والجوهـر الصافى لجميـع الأديان وكل الرسالات .

أما الشرائع والأوامـر والنواهى فهى لتنظيم شئون الـدنيا لا غير.. وهى تابعـة للإطار العـام.. إشاعـة السلام والعدل والحب بين النـاس.. وسوف يتوقف عملهـا فى الآخرة .. حينما لايعود لأحـد حكم أو سلطان .. « لمن الملكُ اليوم لله الواحد القهار » .

إنتهت وظيفة كـل الشرائع وكل الأوامر .. لأن الأمر الآن اصبـح أمر ملك الملوك مباشرة والتصريـف تصريفه والعدل عدله والبطـش بطشه.. ولم يعد لأحد الحرية فى أن يطغى أو يظلم .

ومجال الشرائع أذن محدود بوظائفها وزمانها .

وكما قال الفقيه الاسلامى العظيم.. العز بن عبد السلام :

فى زمان شيوع البلوى إذا أصبح تطبيق الشريعة مؤديا الى ازدياد المنكر فإنه يحسن بالمسلم عدم تطبيقها .

ومن هنا أفتى بعـدم تطبيق حد الخمـر على عسكر التتـار ، لأن سكرهم وغيبـوبتهم ســوف تكف شرهم عن النـــاس وفى ذلك فـائدة وخير .. بينما إفـاقتهم ســوف تؤدى بهم الى معـاودة الأذى والضرر وفى ذلك مـزيـد من المنكر .

لقـد فهم ذلك الفقيـه العظيم أن حكمـة الشرائع هى إقامـة المصـالح فى الـدنيـا وأنها مرتبطـة بـا لمنـافع وليس لها حكم مطلق وأن مجالها محدود بوظائفها وزمانها .

وبهذا المعنى نفسه لم يطبق النبى عليه الصلاة والسلام حد القطع على السارق فى سنوات الحرب كما لم يطبقه عمر بن الخطاب فى عام المجاعة .

ونفس هـذا الكلام يقـال للغوغـائيين من الـدعاة والسطحيين الـذين

يطـالبون بقطـع الأيدى والرجـم والجـلد علاجا للفساد الموجـود .. وهم لا يعلمـون أن الفقه الاسـلامى نفسـه لا يوافقهم على هـذا الفهم السطحى والغـوغائي .. فـالعصر بـاعترافهم عصر شيـوع الفسـاد وشيوع البلـوى وبالتـالى يستوجـب فقها آخر مـلائما للظرف القـائم .. لأن تطبيق الحدود العادية سوف يزيد المنكر نكرا .. فالوزير والكبير الذى يسرق مئات الملايين عن طريق العمولات لن تنطبق عليه شروط القطع الفقهيـة التقليدية وسوف يعفى من القطع بينما النشال الذى يسرق خمسة جنيهات سوف تقطع يده وفى ذلك ظلم فاحش وتشجيع للكل بأن يسرقـوا وينهبوا بالوسـائل الملتوية من عمولات ورشوة وإختلاس وتـزييف وخلافه.. وفى ذلك حض على عموم المنكر.

وعلى باب أى محكمة يمكنك أن تشـترى أربعـة شهود زور لتقطع يد من تـريد ، وتـرجم من تشاء ، ثم مـن يقطع يد من فى عـالم كله من اللصـوص والمرتشـين..؟!!

ونفس الشـىء يقال فى معاقبة الزانى بـالرجم فى الوقت الذى تحض فيه الإذاعـــات والبث التلفـــزيـــونى الخارجى الهابـط من الجو عبر الأقمار الصناعية على الفحش العلنـى وتدفع بالشباب دفعا الى الفسـق.. فالشباب مجنى عليـه وليس جـانيا واطـلاق الحدود فى مثل هـذه الحال من شيـوع البلوى ظلم.. فضــلا عن استحالة استيفاء الشروط الفقهيـة للرجم وهى ,, أربعة شهـود يحلفون بأنهم شهدوا عمليـات الإدخال.. فالعقوبـة هنا غير واردة.. وهـؤلاء الـدعـاة الغـوغـائيـون يقـولـون افكـا من القـول وزورا ويباشرون فهما متحجرا ضيق الافق ، لايقول به أى فقيه مسلم مستنير .

وينسـى هؤلاء عقلانية الإسـلام ومرونتـه وتقديره للظروف.. ويأخذون من القرآن آية واحدة مقطوعة عـن سياقها ويغفلون روح القرآن فى مجموع آياته ونصوصه وهو كتاب أوله رحمة وآخره رحمة .

ألم يقل الانجيل فى صريح آياته :

إن اعثرتك يدك فأقطعها وإن اعثرتك عينك فاقلعها .

وهـو أمر بقطع اليـد التى تسرق وفقء العين التى تـزنى .. ومع ذلك لم

يقل أحـد من المسيحيـة بهذا .. وإنما وضعـواالآية داخـل مجموعـة آيـات الانجيل وسورة ، وقالوا بالـروح العامة التى تشيع فى كتابهم .. وهـى روح المحبـة والرحمة والعفـو والمغفرة .. واكتفـوا بالعقـوبات التعـزيريـة مثل السجن والتأديب والغرامة .

بهذا المفهوم من الحب والرحمة يكـون النظر الى الشرائع فى إطار زمانها ومكانها وظـروفها وفى اطار الرحمة التى أوجبهـا الله .. فهو سبحـانه خلق لنا الشرائع لإسعادنا فى الدنيا وليس لتعذيبنا وخلق لنا العقل لنتدبر كلماته ولم يضع داخل رؤوسنا حجارة ولا جعلنـا آلات تنفذ فى آلية بلا تـدبر وبلا تفكير .

وأراد بـروح النصـوص أن تكـون هى الحاكمة على حـروفهـا .. وبـدأ باسمه الرحمن الرحيم كل شىء .

وإسلامنـا أوله رحمة وآخـره حمد وأوسطه محبـة .. والحب هو روح الوجود وهـو سر ديمومته .. وهو النفحـة الربانية التى بـدونها تنهد أركان الشرائع جميعها وتزول النعمة وينعدم المعنى وبدون الحب فى قلبك لا يعود لـوجودك معنى ولا لفضـائلك معنى ولا لـدينك معنى أى معنى مهما أطلت اللحى وبسملت وحوقلت وصمت وحججت واعتمرت .

وغنى عن البيـان أن المقصـود بـالحب هنـا هـو حب الحق وحب الخير وحب العـدل وحب الجمال وحب المثل العليـا وهى جميعهـا أسماء اللـه الحسنى ومسمياته .. فهو سبحانـه وحده الذى له المثل الاعلى فى السموات والارض .. وهـو الحق وهو العـدل الحكم وهو بـديع السماوات والأرض . وكل جمال فى الكون يرتد الى جماله وكل كمال فى الخلق يرتد الى كماله وهذا هو الحب القديم الذى فطرنا عليه منـذ أن خاطبنا ربنا قبل أن نولد وقبل أن نجىء الى الدنيا هاتفا بنا :

« ألست بربكم » .

فقلنا جميعا ونحن ننظر بتعلق وحب الى وجهه الكريم :

« بلى شهدنا » ..

وهذا الحب هو حقيقة كل الأديان وروح كل العقائد وأساس كل الملل .. وبدونه لا معنى لدين ولا معنى لدينونة .

وهذا الشـوق النبيل هو الطـاقة الـدافعة وراء كل فن عظيم وكـل إبداع رفيع ، وكل فكر ملهم ، وكل استشهاد وكل فداء وكل بطولة .

وهذه النـورانية فينا هى التى اقتضت سجود الملائكـة وتسخير الكون لنا .. وهى التى جعلت حياتنا رغم مشقاتها وعذابها جديرة بأن نحياها .

وبـدون هـذا الحـب

فى ساعات الخطر يتحد المختلفون ويلتقى أبناء العم وأبناء الخال وأبناء سابع جد وتذوب الأحقاد الصغيرة ويؤلف الخطر الداهم وشيجة توحد كل القلوب ..

وهـذا شأننـا اليـوم وقـد رأينـا مـا يصنعــه الحلفـاء الأوروبيـون والأمريكيون بمسلمى البوسنة المظلومين المحـاصرين بالرصاص والقنابل والجوع والموت فلا تكون نجدتهم إلا بتكـريس هذا الظلم وإضفاء الشرعية على هـذا الحصـار وإقـرار الناهب على مـا نهب والتسليم للمغتصب بما اغتصب ، ثم تحويل ما تبقى من أرض إلى معتقلات أبدية تعيش فيها البقايا المنهوبة والهياكـل المغصوبة تتسـول المعونـات من جنود الأمـم المتحدة وتأكل من فتات الأيدى مثل حيوانات الأقفاص .

وتلك هى القـرارات الـوضيعـة التى وصل إليهـا السـادة الأوروبيـون لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .

أخيرا أفصح هؤلاء الناس عن عواطفهم الحقيقيـة ، اتفقوا فى البداية على تكتيف أيدى الضحايا وحظروا عليهم أى سـلاح يدافعون به عن أنفسهم .. وأخيرا قـرروا سجنهم فى جيـوب ومعتقلات إلى الأبـد يلقـون إليهم بفتـات الطعام وهذا عدلهم .. وهذا قانونهم .. وبئس ما صنعوا .

فماذا نحن فاعلون ؟

أما زلنا نختلف سنة وشيعة وشوافع وأحنافا وزيودا .. وعلى ماذا ؟

على ماء الـوضوء يصل إلى الكـوع أو يشمله .. وعلى الأيـدى ترسل على الجانبين أثنـاء الصـلاة أو تضم على الصـدر .. وعلى نقـاب أم حجـاب .. ولحية أم جلباب .. وأذان واحد لإقامة الصـلاة أم أذانان .. ونجهر بالصلاة متى ونخافت بها متى .. وننتظـر الإمام الغائب أم لا ننتظر .. ونـولى الفقيه أم السياسـى .. ونضع أموالنا فى البنك أو فى دفاتر الادخار ؟ .

يا سادة .. فيم تختلفون .. ألا ترون الأيدى التى تريد أن تلقى بكم فى جب وتهيل عليكم التراب .. ألا تسمعون كلام الله يدوى فى آذانكم .

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (٩٢ ـ الأنبياء) .

ألا تسمعون وعيده وتهديده :

« وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (٣٨ محمد) .

وإنه ليوشك أن يفعل إذا استمر خلافنا .

وفيم الخلاف وقد آذن الموت باقتراب وأطبق علينا التآمر من كل جانب

وكيف يختلف أهل توحيد وأهل فطرة .. دينهم أبسط وأوضح من نور النهار .. أوجزه نبيهم فى كلمات :

قل لا إله إلا الله ثم استقم .

لم يذكر عمامة ولا جلبابا ولا لحية ولا نقابا .. وإنما فقط الاستقامة على مكارم الأخلاق وعلى توحيد الله .. وكل ماعدا ذلك فضول .. وهل البنوك حرام أم حلال ؟وهل التصوير حرام أم حلال ؟. وهل الغناء حرام أم حلال ؟.

وقد غنى البنات والأولاد للنبى عليه الصلاة والسلام عند قدومه المدينة وأنشدته الخنساء الشعر فاستزادها .. ولو كانت هناك كاميرات على زمان النبى لوجدنا له ولصحابته الكرام مئات الصور .

وهناك الجيد والرفيع من الفنون الذى تنشرح له الصدور ، وهناك الوضيع والهابط الذى تعافه الأذواق وترفضه النفوس قبل الشرائع .

وتستجد فى كل زمان أحوال وظروف .

وتطرأ ملابسات ومتغيرات ..

ثم لا تختلف الأذواق على قبح القبيح وعلى حسن الحسن .

ولا يحتاج أهل الفطر السليمة إلى فتاوى وإنما قلب المؤمن دليله .

إنما هى تجارة جديدة يمشى بها تجار السوء فى الناس فيشككون فى كل شىء ويبثون الوسواس وينشرون الخلافات ويشيعون المخاوف ويبثون الأحقاد ويجعلون من كل طائفة عدوة لأخرى ويجعلون من كل إنسان خصيما لأخيه .

وهى تجارة تروج مع التخلف وتزدهر فى الأزمنة الرديئة .

ونحن بلاشك فى أردأ الأزمان.

وإذ يوشك الظـلام أن يشتد ويمـلأ تجار السوء الأرصفـة ببضاعتهم الفاسدة ويتنـادى أبالسة الشقاق ليشتتـوا الناس شراذم وجذاذات ... بينما تزحف علينا العـداوات من كل جانب ونحن فى غفلة .. لا أملك إلا أن أصيح بـالكل أن تنبهـوا .. واستقيمـوا يرحمكم الله .. وسـدوا الفـرج .. وضمـوا الصفوف.. فليس أولى بالـوحدة منا نحن عباد الواحد .. فليس عنـدنا كثرة من الإلهة تختلف عليهـا ، وإنما هو واحـد ، ونبينا واحـد ، وقبلتنا واحـدة وصـلاتنـا واحدة .. ولا خـلاف بين سنـة وشيعـة فكلنـا بحب أهل البيت مشغوفون ، وبسيرتهم مغـرمون ، وسيدنا على هو سيـد شباب أهل الجنة وهو فى أعيننا سنة وشيعة .. والطقوسية ليست بضـاعتنا .. وإسلامنا ليس ضـد النصارى بل هـو معهم ما تعاونوا وما تحابـوا .. والذين قتلوا مسلمى البوسنـة ليسوا بنصـارى بل هم وحوش لا ملـة لهم ولا دين .. ولو كـانوا نصارى لنفعهـم إنجيلهم الذى يقول أحبـوا أعداءكم .. واتبـاع عيسى بحق واتباع محمـد بحق هم على طريق واحد وهـو طريق مـوسى وطريق جميع الأنبيـاء ، فكلمة الله لجميع أنبيـائه واحدة ، ولكن صهـاينة اليهـود خانـوا توراتهم واتبعوا أهواءهم واتخذوا من التلمـود والبروتوكولات دستورهم .. وصليبية اليوم ليست صليبية نصرانية بل صليبية صهيونية يهودية .

وأقول لكم: اتفقوا وتناصحوا وتحابوا وتآخوا وتماسكوا صفا واحدا .

وإذا كان ربنا يقول إنـه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسـهم .. فإن ما بأنفسنا الذى يـريد ربنا أن نغيره هو هذه الأنانيـة والعصبية والطائفية وعبـادة الرأى وعبـادة النفس وعبـادة الهوى وحب الـدنيا والانغـلاق على شخصانية ضيقة غبية عمياء لا ترى إلا لشبر واحد أمامها .

لم يطلب منـا ربنـا حيازة تكنـولـوجيـا الذرة والالكترونيـات والليـزر لينصرنا .. وإنما طلـب هذا الطلب الواحـد البسيط .. أن نغير ما بـأنفسنا .. وقد أرانا بأعيننا كيف انتهت روسيـا دون حرب ؟ وكيف ركعت على أقدامها دون أن تطلق عليهـا رصـاصـة .. وكيف انهزمـت من الـداخل .. من داخل

نفوسها فانهارت وعلى ظهرها من القنابل الهيدروجينية ما يكفى لتفجير الكرة الأرضية عدة مرات .. فكذلك تكون نهاية الأمم العملاقة حينما تطغى .

وأتوجه بهذا النداء إلى ٤٧ دولة إسلامية فيها أكثر من نصف كنوز الكرة الأرضية وأغلبها يتسول طعامه ويقترض مصروف يومه ، وأقول لهم : منظركم عجيب وأنتم كالإبل الشاردة لاتجتمع على كلمة .. ألا تسمعون حادى الصلاة وهو ينادى عليكم :

استقيموا يرحمكم الله ، وسدوا الفرج وضموا الصفوف.

إنما يريدها سنة حياة لا تعليمات لمدى خمس دقائق .

فصلاة المسلم هى مؤشر لحياته ، ولا صلاة لكم وأنتم ممسكون بعضكم بخناق بعض .

فاجتمعوا وتحابوا واتحدوا فقد تداعت عليكم الأمم تداعى الأكلة على قصعتها وأنتم كثير ولكن كغثاء السيل الذى انفرط وتفرق بددا .

فهلا اجتمعتم .. قبل أن يأتى عليكم الطوفان .. أليس فيكم رجل رشيد ؟

عجبت لكم .. أراكم فى الصلاة تتوجهون بالملايين إلى كعبة واحدة فى مكة .. فإذا انقضت الصلاة انفرط الجمع وتفرقت بكم الطرق .. فمنكم من كعبته واشنطن ، ومنكم من كعبته باريس ، ومنكم من كعبته جنيف ، ومنكم من كعبته إسرائيل ، ومنكم من كعبته صندوق النقد الدولى ،ومنكم من كعبته الـ CIA .. ومنكم من كعبته نفسه .

فأى نجاح تنتظرون وكل منكم حرب على الآخر ؟

هلا أرسلتم النظر لأبعد من أقدامكم ؟ فالموت على الباب والله من ورائكم محيط وما تبقى من عمركم لحظة .. ثم لا يعود يغنى مال ولا بنون ولا جاه ولا ملايين الدولارات فى بنوك نيويورك ولوكسمبورج ولندن .

لقد قررت إسرائيل ياسادة أن تقيم دولتها الكبرى على أكتافكم .. على أكتاف عداواتكم وتفرقكم . وقررت أن يكون ذلك فى السنوات الأربع الباقية من حكم رجلها كلينتون .

فهل أنتم منتهون ؟

الاسم ..
اللطيف ..
ومعجزته ..

ماهذا الذى يحدث فى روسيا ؟

هل كان هذا النظام الحديدى آيلا للسقوط بهذه الدرجة ؟ ..

كيف صعدوا إذن إلى الفضاء .. وصنعوا اسطورة الأقمار الصناعية .. والمحطة « مير » والصواريخ عابرات القارات .. والميج .. والسام .. والرؤوس النووية .. والمفاعلات الذرية .. والتفجيرات تحت الماء .. وسلاح الغواصات المرعب .. وفائض الأموال الذى كانت تطعم منه روسيا دولا وشعوبا مثل كوبا ونيكاراجوا وموزمبيق وانجولا ومختلف الذيول الأخرى .. وجيوش الجواسيس فى أقطار الأرض الأربعة وشبكة المخابرات الرهيبة التى كانت تتصيد العملاء من قلب لندن ونيويورك وباريس .. و « تدوخ » أكبر العقول ؟ !.

هذا النظام الذى صمد لضربات هتلر ومدافعه وطائراته وقاذفاته وخاض الجحيم وانقض على الجيش الألمانى ليصرعه فى قلب برلين وعاد يغنى « الإنترناشيونالى » وليبنى الخراب والدمار ويرفع روسيا من الانقاض الى الفضاء والكواكب والنجوم وعنان السماء .

كيف ينهار فجأة .. وتتكشف كل هذه العملقة عن شعب لايجد الخبز وأسراب تائهة من البشر تفتش عن اللقمة فى أكوام القمامة ..

هكذا فجأة بلا حرب وبلا ضرب !!

ماذا كانت تلك الهمسة التى كانت تحمل سر الله ولطفه الخفى .. والتى همست فى هذا البنيان الأسطورى فسقط فجأة من طوله بلا قتال ..

إن جورباتشوف حينما حمل إلى شعبه بشارة « البرسترويكا » كان يظن أنه يقدم لهم حلما وأملا وأنه يصلح الشيوعية ويقويها ويطورها .

هكـذا كان يقول الرفاق .. ولكن ماحدث كان النقيض تماما .. وكان فى ظنى مفـاجأة لجوربـا تشـوف نفسـه .. فقـد انهدم المعبـد كلـه فجأة وسقطت الأنقاض على رأسه .. ثم دفن الركام كل شىء .

لقد استدرج الله هذا الرجل ليهمس فى أذن النـاس بالحرية ويرفع عنهم غائلة الخوف ويدعوهم إلى مصارحة ومفاتحة ومكالمة حبية ..

وفجأة ذابت المادة الـلاصقة التى كانـت تمسك بأطراف البنيـان كله .. فلم يكن يمسك بأطـر اف هـذه الأمبراطـوريـة العـريضـة سـوى الـرعب والخوف .. ولم يكن يمسك الجدران سوى القمع والقهر .. وكـان الكذب هو « المانشيت » الكبير الملصق على قباب الكرملين ..

كانت الشيـوعية بيتا من الشعـارات وقلعة من الملصقات وبنيانـا هائلا من ورق الكوتشينـة .. وكان الكل عبيـد الخوف وأسرى الكربـاج .. وكانت العظمة ديكورا من الخيش الملون ..

وانكشف المسرح فجأة على حقيقته .. فالشيوعية والحرية لاتقومان معا .. والحرية لا تصلح الشيوعية بل تقضى عليها ..

وجورباتشوف قد أدرك الآن هذا وأدرك أنـه قد هدم روسيا السوفيتية من حيث ظن أنـه يطورها ويبنيهـا .. وانه كـان المعول .. وأداة الخراب من حيث لايدرى ..

وكان فى قدر الله وقضائه أن يهُدم المعبد بأيدى سدنته ..

واحسب أن هذا معنى اسمه .. اللطيف .. انه سبحانه الذى يحقق مراده فى خفاء وبلا جلبة وبأيدى أعدائه الذين يظنون أنهم يحسنون صنعا ..

وقد سألوا جورباتشوف أخيرا : هل تؤمن بالله .. فقال : لا أؤمن ..

ولا أدرى مـاذا سيصنع بـه الـزمن الـدوار أكثـر ممـا صنع .. ومـاذا سيكشف له أكثر مما كشف ..

ولكن يقينى إنـه إذا كانت فى هـذا النظام المنهار قيمـة أو معنى لما سقط هكذا ككومة تراب وتبخر وأصبح كل شىء .

وتصل إلىّ دائماأعداد صحيفة « مجاهدى » أفغـانستان » وفيها يقولون دائما إنهم هم الذين هزموا روسيا ..

وأحسب الآن أن فى كلامهم معنى .. فهم لم يهزموها بالسلاح .. ولكن بدعوة مظلوم كان يموت فى العراء على جبال أفغانستان الجرداء وقد بقرت القنابل احشاءه .. وكان يهمس فى حشرجته :

الغوث .. الغوث .. ياقوى على كل ظالم .. وقد أجاب الله باسمه اللطيف .. وكان ذلك المشهد التاريخى العجيب ..

أمة تموت وهى تحمل على ظهرها أسلحة وقنابل ومتفجرات تكفى لنسف الكرة الأرضية عدة مرات ..

فذلك هو الاسم .. اللطيف .. وسره الخفى .. حينما يقبض بلطف على رقبة الظالم ولا يتركه إلا عدما .. وصدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .. حينما سجد يستعيذ ويستغفر :

« اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك .. وأعوذ بعفوك من عقابك .. اللهم إنى أعوذ بك منك » .

فذلك هو الله .. الذى به يستعاذ .. ومنه يستعاذ .. وهو الأول والآخر وصانع التدبير ..

هذا تفسير الموحدين الذين يرون المشيئة الالهية فى كل شىء ..

ولكن العقلية الغربية لاتنظر بهذه الطريقة ولا ترى بفكرها إلا حسابات الواقع وموازين القوى وتظن كل دولة كبرى إنها تمسك بخيط الحوادث وأنها توجه التاريخ حيث تشاء وتشعر أمريكا بالأمان وهى تسند ظهرها إلى « البنتاجون » وإلى ترسانة حرب النجوم وعيونها فى كل مكان وأقمارها فى الفضاء تتجسس على دبيب النمل ..

ولا توجد فى الحسابات الغربية كلمة الله .. ولهذا لاتشعر أمريكا بحرج فى مساندة عدوان أو الوقوف مع ظالم .

ولقد ساندت اسرائيل وزرعتها فى الوطن العربى وسلحتها بالقنابل النووية ، وراحت تجند مائة صوت فى الأمم المتحدة لترفع عنها تهمة العنصرية .. تفعل هذا فى الوقت الذى تلقى فيه اسرائيل بقنابلها على جنوب لبنان وترفض كل عروض السلام فى واشنطن وتضرب عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة وتخطف الرهائن .. فماذا حدث لتنال فجأة هذه البراءة ؟

لقد ولدت اسرائيل عنصرية وما زالت عنصرية .. ولاشىء تغير فى سلوك اسرائيل لتمحو الأمم المتحدة قرارها الأول ..

وكالعادة اختلف العرب .. اعترضت الأغلبية ومعها كل الحق .. ولم تشترك مصر وتونس والمغرب والبحرين وعمان والكويت فى التصويت .. « لتوفير مناخ مناسب للسلام » أى سلام ؟ أليس الحق أولى ؟

إن أمريكا دولة كبرى وهى على رأس الكوكب الأرضى حاليا .. « على العين والرأس »

ولكن لا شىء يبقى فى مكانه .. فنحن على كوكب دوار ..

وبالأمس كانت روسيا الى جوارها على القمة ، وغدا لاندرى ماذا يحدث .

ولكنا نعلم علم اليقين أن الدنيا لاتديرها أمريكا ولا يدير شئونها الكونجرس.. ولكن إرادة إلهية لاتغفل ولا تنام ..

وفيما رأينا من أحداث التاريخ عبرة تكفى ليعود الأعمى منا بصيرا ..

نسأل الله باسمه اللطيف اللطف ..

خطأ الإسلاميين

الاسلام دعوة تأتى للناس بما يحبون على يد قدوة يعرفونها بمكارم الاخلاق وليس انقلابا يأتى على ظهر دبابة يحمله الى الناس بكباشى أو عقيد .. وحينما تحول الأخوان المسلمون فى الماضى من دعوة تسعى الى الناس بالحسنى.. الى جماعة سرية تسعى إلى الحكم بالقنابل .. انتهى أمرهم ..

والاسلام فى مبدئه جاء للوثنيين فى قريش كدعوة ودخل المدينة المنورة للمشركين مدعوا تستقبله الأغانى ولم يدخلها قهرا بالسيوف والنبال ..

فما باله اليوم وهو يدخل ديارا هى ديار إسلام بالفعل .. يأتيها بالحديد والنار والخسف والعسف والاعدام والمحاكمات والمشانق كما حدث فى السودان .. وكما ترسم لنفسهاالجماعات الإسلامية المتطرفة فى أكثر البلاد ..

إن الاسلام ليس انقلابا عسكريا .. وليس اصلاحا للناس بالعنف وليس أكراها للناس على غير طبائعهم ..وإنما هو هداية للناس الى الفطرة.. الى فطرتهم التى فطرهم الله عليها..

وهو دعوة وليس انقلابا ومخاطبة بالحسنى وليس مخاطبة بالكرباج ..

إن الاسـلام موجـود فى ديارنا بالفعـل .. والأذان يـدوى من المـآذن « لا اله إلا الله » كل يوم خمس مرات .. والنـاس تسعى الوفا الى المساجد .. ولاحاجة بنا الى انقلاب وإنما لإصـلاح يسعى الى الناس من قنواته الشرعية انتخابا طوعيـا واصواتا تخاطب الناس من منابر بـرلمانية وليس من أبراج الدبابات ومن فوق ظهورا المدافع..

ويـريد النـاس أن يـروا فى الداعيـة قـدوة ومنبرا علميا رفيعـا.. وليس شقشقة لسان من شـاب حدث لايعرف من دينه إلا آيـة أو بضع آية يسعى بها ويلوى معانيهـا على هواه ؛ ليسوق الناس أمـامه بالعصا كـالدواب الى حيث يريد..

إن الاسـلام حضارة.. وحوار رفيع المستوى.. وإنقاذ.. ورحمة..

والإنقاذ لايـأتى للناس كـرها ورغم أنوفهـم.. ومن يرد أن ينقـذ الناس لايضعهم فى السجـون ولا يعلقهم فى أعواد المشـانق ولا يقهرهم قهـرا على غير مالا يريدون..

لاتعطوا للعالم رخصة لإدانـة الاسلام بما ليس فى الاسلام. ولاتعطوهم عذرا ليسموا الجهاد إرهابا فيصرفوا الشباب عن أشرف غاياته..

لقـد أصبحت كلمـة «الأصـوليـة» تعنـى العـداوة من فـرط مـا أسىء استعمالها ومن فرط مـاحملها الى الناس أقوام لا أصـالة فيهم ولا خلق لهم ولاخلاق.. وإنما هم طلاب سلطة وطلاب رياسة وطلاب حكم يتحكمون به فى الرقاب..

إن الاسـلام محبـة ورحمة ومكارم اخلاق أولا.. ومـن لاتوجد فيـه هذه الخصـال فليبحث لـه عن راية أخرى يـدعو الناس تحت لـوائها.. وحق لهذا العصر أن نسميـه عصر العنف وعصر الشعـارات وعصر التـزييف وعصر التدليس..

الذين رفعوا شعـارات.. توظيف الاموال بالمرابحة الاسـلامية.. ورفعوا لافتـات.. لا ربا ولا ريبـة.. كانـوا هم أنفسهم أهل الريبـة.. وكانـوا حثالـة لصـوص..

وصدام حسين الذى رفع راية الاسلام كان عدوا للإسلام.. انتهك الجوار وخان الأمانة وقتل الأبرياء واغتصب المحصنات ونهب الأموال.. وكان ماضيه الدموى وحكمه الدموى ونظامه البعثى العلمانى مناقضا لكل ماهو دين ولكل ماهو اسلام.. ومع ذلك صدقه البلهاء.. ومشى خلفه المخدوعون . واتخذه مرضى القلوب إماما ورائدا..

يأخوانى.. راية الاسلام ليست ذريعة وليست فرصة تلتقط..

راية الاسلام أمانة لايحملها ولاينالها إلا كل رحيم تقى..

فكروا طويلا قبل أن تصفقوا.. وتدبروا أمركم قبل أن تهتفوا.. وأعملوا عقولكم قبل أن تسلموا رقابكم لكل طامع.. فأنتم بشر.. ومن أكرم من خلق الله.. ولستم سوائم..

كلام عن الآخرة

لو لم تكن هناك آخرة لوجب أن توجد .. فدنيانا هذه استولى عليها الغشاشون والمرتشون والكذابون والمنافقون والقتلة وعلا فيها الأدنياء وارتفع الأخساء وحكم السفاحون وفاز الدجالون وتقلد المداهنون النياشين والأوسمة ، أما الطيبون فلزموا الخنادق والكهوف ولاذوا بالجدران يدافعون عن لقمتهم الصعبة واعتزلوا شوارع النجاح القذرة وتجنبوا أوحال الشهرة ومزالق الجاه .

والقمم التى تتشدق الآن بالعدل وبحقوق الانسان هى نفسها التى داست على العدل وعلى حقوق الانسان ، وهى نفسها التى وقعت على أوراق إعدام الشعوب وعلى مذابح الضحايا وعلى محارق المغلوبين بالجملة .

قد يقول قائل : ولماذا يستوجب هذا الظلم افتراض آخرة ؟ فأقول بيقين:لأن العطش الى الماء يدل على وجود الماء وعطشنا الى العدالة أشد .. وهو الدليل القاطع من داخلنا على وجود العادل .

إن من زرع فينا العطش الى الخير والحق والعدل قد زرع المؤشر الذى يدل عليه وهو برهان قطعى لأنه برهان من قلب وجودنا وليس ثرثرة منطق ولا جدلا فلسفيا فارغا .

إن نور الحق من داخلنا .. يقول : هناك يوم لن يفلت فيه ظالم .

إن الذى أقام موازين هذا الكون المحكم الذى لا يستطيع أن يفلت فيه الكترون خارجا عن مداره دون أن يحصل على شحنة تساوى حركته .. وهو جسيم أصغر ألف مليون مرة من الهبأة .. يقول لنا ربنا بهذا المثال البليغ : إنه لن يفلت ظالم واحد من موازينه .. ولو قال ظاهر الدنيا غير ذلك .. فلابد من آخرة تصحح جميع الموازين .

إن قول الله فى كتابه .. « وما أكثـر الناس ولو حرصت بمؤمنين » تعنى ان أغلبية هـذا العالم هم من الكفرة وان كـانت بطاقاتهم الشخصيـة تقول غير ذلك .. وان أغلبيتهم إلى النار .

ألم يقل عن السـاعـة إنها خـافضـة رافعـة .. أى انها سترفع الأذلين والمبتلين من أهل الدنيا الى أعلى المنازل وستخفض با لمتكبرين من أهل الجاه الى الهاوية .. ولهذا سماها بيوم الفزع الأكبر .

ولكن الأهـواء والشهـوات التى تسيطـر على الكل تعطل التفكير وتصنع مناخا عاما من الغفلة واقتناعا وقتيا بأن هذه الدنيا هى كل شىء .

ويظل الكل سـادرا فى الغفلـة حتى تأتى لحظـة الموت ولا تعـود هنـاك رجعة .

وما أقرب ذلك الموت منا جميعا .

وما أشبـه الزمن بـوهم .. الماضى فيه عـدم والمستقبل خيال والحاضر مجرد خيط مفترض بين الوهمين .. وحركتنـا عبر هذا الخيط هى أسرع مما نتصور فما تلبث سنوات العمر ان تصبح ماضيا معدوما وما تبقى لنا من أيام العمر مستقبلا موهوما .. ثم يفاجئنا الموت ولا يبقى شىء يقال .

هلا دعا كل منكم نفسه لوقفـة تأمل قبل أن يرفع يده ليرتكب جريمة أو يقسـو على انسان أو يختلس أو يسرق أو يأكـل مال يتيم أو يظلم أرملـة أو يشهد زورا أو يقتل بريئا .

هلا نظر كل منكم إلى أبعد من أنفـه واستشرف إلى أبعد من مواقع قدميه وتخطى مصلحته وتجاوز لحظته ؟

وأتوجه بهذا للكبار قبل الصغار .

وأرجو أن يترجم عنى هذا الرجاء بكـل اللغات إلى الآحاد الذين يحكمون العـالم ويتربعـون على مصـائر الملايين ويتصرف كل منهم وكأنـه الـرافع الخافض والمعز المذل والمحيى المميت .. لعله يتوقف هو الآخر لحظة ويفكر هنيهـة قبل أن تُسحب منـه صلاحيـات التصريف ويصبح أثـرا بعـد عين وهيكلا لشىء تحت التراب .

ولا يظن أحدكم أن حظه مـن القوة والجاه والشـهرة والمال والعلم والفن

هو مقياس عظمتـه .. فالله سبحانه حينما امتدح نبيـه قال له .. « وإنك لعلى خلق عظيم » .. لم يقل لـه وإنك لعلى علم عظيم أو فن عظيم أو ثـراء عظيم أو جـاه عظيم أو شهـرة عظيمـة .. وإنما قرن العظمـة بـالخُلق على وجـه التحديد وبالخلق وحده .

ونعلم الآن مبلغ الدقـة فى هذا التـوصيف فنحن نرى الآن علماء لا نشك فى درجاتهم العلميـة ونعلم مع ذلك انهم لصوص ومـرتشون وانتهـازيون ومنافقون وعباد مناصب .

وأكبر فنـانى عصرنـا أجـرا وأوسعهم شهـرة أمثال مـادونـا ومـايكل جاكسون هم أفسدهم سيرة وأحطهم أخلاقا .. وكذلك كان أكثر الفنانين فى كل العصور أمثلة بالغة للفسوق والانحلال .

والثراء دائما كـان لصاحبـه مفسدة وكـانت الملايين لأهلهـا مضيعة .. وكان الجاه غرورا والقوة تسلطا والنفوذ غطرسة .

فلا يصلح أى شىء من هـذا مؤشرا للعظمة .. ولا عاصما لصـاحبه من عذاب الآخرة .

وانما المؤشر الوحيد للعظمة هو حسن الخلق وهـو العاصم الوحيد يوم لاينفع مال ولا بنون .. ويوم يقف الانسان عاريا إلا من عمله .

وأهل الخلق هم أهل التقوى وهم أهل الخشية لله وهم أهل الدين .

وهنرى برجسون لم ير للأخلاق أصلا ومنبعا سـوى الدين فى كتـابه : « الدين منبع الأخلاق » .

والمتصوفون جعلوا من الأخـلاق محور مجاهداتهم ورياضـاتهم ورأوا فيها صراطهم الوحيد الموصل الى الله بالاضافة الى العبادة والتوحيد واتقان العمل .. واتخذوا للنفس المذنبة سلما ترتقى عليه يبدأ بالتخلية (أى التخلية من الـذنوب وهجـر المخالفـات) ثم التحليـة (بالـذكر والتسبيح والتـزام الطاعات واتقان العبادات وعمل الصـالحات) .

ولهم فى ذلك أحوال ومقـامات ومنازل ومـراق تدور كلهـا حول التخلق بمكارم الأخلاق .

ويقولون إن التخلق هو السبيل إلى التحقق أى التحققق بالمعرفة الإلهية على وجه التحقيق .. وتجلى الكمالات الأسمائية على الذات العارفة فى ذروة قاب قوسين أو أدنى .. وذلك عندهم منتهى القرب وغاية المنى .

والأديان اتفقت جميعها على ضرورة الأخلاق .. وألواح موسى كانت معظمها وصايا خلقية .. والوصايا العشر فى الانجيل وصايا خلقية .. والقرآن هو المنهج الخلقى المفصل المحكم المهيمن عليها جميعها .

وبدون أخلاق لا اسلام ولو اكتملت الشعائر واتسقت المناظر والمظاهر.. فالتقوى هى جوهر الدين بلا خلاف.

وفى عصر الظلم والعدوان والبلطجة الذى نعيش فيه والحرب التى يقودها الغرب لإبادة المسلمين فى حملات الحقد والكراهية التى تجرى أمامنا لا أرى إلا كراهية تتأجج فى قلوب هؤلاء الناس ولا أرى إلا علوا واستكبارا وعنصرية وكفرا بواحا .

ولا أرى مسيحية على الاطلاق بل أرى صليبية يهودية لا تؤمن بشىء سوى السيادة لنفسها بأى ثمن .

وقد تغلغلت هذه الصليبية اليهودية الى جميع مقاعد صنع القرار وراحت تتآمر وتفسد وتؤلب الفئات والطوائف والأجناس والأديان بعضها على بعض .. وتستخدم الآلة العسكرية الأمريكية فى إثارة الحروب .

وسوف يحيلون الأرض إلى جهنم ولكنهم سوف يكونون وقودها فى النهاية ..

ولن ينتصروا أبدا ولن يصلوا إلى غايتهم .

ويقول ربنا عنهم :

« إنْ فى صدورهم الأكبر ماهم ببالغيه »

أى أنهم لم يبلغوا تلك السيادة التى يخططون لها ولن يحققوا ذلك الكبر الذى يملأ صدورهم .

ولكنهم بسبيلهم إلى تلك الغاية سوف يملؤون الأرض عذابا ويشعلونها فتنا .

ونرى الآن مشاهد مستفزة من تلك الفتن وقد اتخذ الصهاينة من النسر الأمريكى مركبا ومن الحلفاء الأوربيين أعوانا .. ولسوف يجلبون الخراب على أمريكا ويأتون على بنيانها من القواعد .

وسوف نرى ذلك بأعيننا فى السنوات القليلة القادمة وقبل أن ينتهى القرن .

ولكننا لن نرى ذلك من مقصورات المسرح بل سنكون نحن المسرح نفسه .. وسنكون التاريخ .. وسنكون القدر والمقدور .

وأكاد أسمع كلام الله وكأنما يوجهه إلى الفلسطينيين المجاهدين اليوم « فلا تهنوا وتدعو إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ».

ولا شك أن مصيبة العرب كلهم هى ذلك الوهن الذى أصابهم والذى ذكره الله فى الآية وهو يقول جل من قائل :

« فلا تهنوا و تدعو إلى السلم وأنتم الأعلون » .

(٣٥ ـ محمد)

أى لا تستسلموا لذلك الوهن ولا تذعنوا للباطل وأنتم أهل الحق وأنتم الأعلون وهم الأسفلون وإن كانوا أكثر قوة وأكثر عدة ولكن الله معكم ولن يضيع ثواب من يجاهد منكم ولن يضيع عمله .

ومرة أخرى أقول لإخواننا الفلسطينيين : لا توقعوا على مذلة ولا تبصموا على غبن .. فهم لا يريدون لكم سلاما ولكنهم يريدون استسلاما .

وأنتم جميعا ظهوركم الآن إلى الحائط .

وأى تنازل آخر سوف يعنى خروجكم من دائرة الوجود بالكلية .. وانظروا ماذا تصنع الأمم المتحدة بإخوانكم فى البوسنة .

ان آخر ما قاله لورد أوين وسيط السلام إلى مسلمى البوسنة :

ليس أمامكم الا قبول الأمر الواقع .. وإذا لم توافقوا فإنا سوف نقطع عنكم المعونات الغذائية وسوف نسحب قوات الأمم المتحدة .

وهذا كل ما تقدمه الأمم المتحدة ورسل السلام الى الحفنة الباقية من المسلمين المحاصرين بين مطرقة الصرب ونار الكروات .

ولورد أويـن وسيط السلام اليهودى لايفكـر فى أن يضغط على الصرب أو على الكروات .. بل كل ما يفعله من نجدة هو أن يضغط على رقاب المسلمين ويهددهم بالموت جـوعا هم وأطفالهم إذا لم يقبلوا التسليم بـالأمر الواقـع . .

وهذا هو سـلامهم .. إنه الذل الأكثر مـرارة من الموت .. فلماذا الوهن .. ولماذا هذا التخاذل ؟!

أحبا فى دنيا لاتساوى شيئا ..

أحبا فى لقيمات مغموسة فى الذل ؟

لقد سألـوا النبى عليه الصـلاة والسلام عن الـوهن الذى جـاء فى الآية الكريمة .. وقالوا له : وما الـوهن يارسول الله .. فقال الصادق الأمين : هو « حب الدنيا وكراهة الموت » .

وهذا حال أمة المسلمين كلها اليوم .. فى كلمتين .. هـو حب الدنيا وكراهة الموت .

ولن يتبدل حـال تلك الأمة الا حينما يظهر فيهم أولو العـزم .. والعصبة أولـو القوة .. التى تبيع دنيـاهـا بـآخرتها .. ولا تـرى فى تلك الـدنيا شيئـا يساوى المذلة من أجلها .

وهانحن أولاء بـدأنا بالكلام عـن الآخرة وانتهينا إلى الكلام فى الـدنيا .. وهل يختلف الاثنان ؟

أليسا وجهين لحقيقة واحدة .. هى نفوس تبتلى هنا وتثاب هناك .. وهى ما بين زمن ضائع اسمه الدنيا ، وخلود أبدى اسمه الآخرة .

الدين الجديد
الذى يدعون إليه

هناك اتفاق غير مكتوب بين دول الغرب تقوده أمريكا نحو دين جديد عالمى اسمه : الديمقراطية وحقوق الانسان .. يحل محل الاديان الموجودة التى تفرق الناس وتجعلهم أعداء (هكذا يظنون) وتجعل العالم محلا لصراعات لاتنتهى .

والاسلام على رأس الاديان المتهمة بإثارة العداوة والبغضاء والحرب على الحضارة العلمية الجديدة وهو على رأس قائمة الأديان المرشحة للزوال .

وقد صنعوا نماذج يخيفون بها كل من تحدثه نفسه بالإسلام أو بالحكم الاسلامى .. وهذه النماذج هى افغانستان التى يتقاتل فيه القادة الاسلاميون حكمتيار وربانى وشاه مسعود ويتبادلون الصواريخ فى كابول بعد أن استقرت اقدامهم وهزموا الشيوعية ورفعوا راية الاسلام هو الحل .. فاذا بها فى الحقيقة راية دموية اسمها : الاسلام هو القتل .

ومن هذه النماذج أيضا .. الجبهة الاسلامية للإنقاذ فى الجزائر التى ركبت الموجه الديمقراطية لتصل إلى الحكم فلما فازت بالأغلبية رفعت شعارات ضد الديمقراطية ..وأعلنت أن الديمقراطية كفر .

ثم كل ارهابى يَفجر القنابل ويقتل الناس يسارعون فيضعون على صدره بطاقة « الاسلامى الأصولى » ويجعلون منه نموذجا لإسلام المستقبل ، ومعظم هؤلاء الارهابيين من صناعتهم ومن تربيتهم .. وربانى وحكمتيار وشاه مسعود وعبد الرشيد دوستم وراء كل واحد منهم دولة تموله وتسلحه وتدفعه ليظل الصراع الدموى مشتعلاً .. وليظل الاسلام موصوما بالعدوان والبربرية والتخلف والعجز .. والتناحر القبلى والطائفى فى افغانستان وراءه أموال ترعاه وتنفخ فى ناره كلماخبت زادتها سعيرا

لتظل القـوى الاسـلاميـة أحقادا مشتعلـة يأكل بعضـهـا بعضـا .. وليظل النموذج الاسلامى المخيف قائما أمام كل من تحدثه نفسه بالاسلام .

ونسأل ـ ومن حقنا أن نسأل ـ عن هذه الـديمقراطية وحقوق الانسان التى يريدون أن يجعلوا منها بديلا يوحد الناس ويجمع أشتات العالم .

ماهى تلك الـديمقراطيـة التى يريدونها لنـا . إن يلتسين أحرق البرلمان وسجن النـواب وصادر الصحف وحل الأحـزاب المعـارضة وحل المحكمـة الدستورية العليـا التى تراقب دستورية القوانين وطالب بـرلمانات الأقاليم أن تحل نفسهـا وأعلن الأحكام العـرفية وأطلق مخابـراته تفتش النـاس فى الشوارع .. فماذا فعل الغـرب الديمقـراطى ؟!..وماذا كـان تعليق المتحدثين الرسميين فى انجلترا وفـرنسا وأمـريكا .. لقـد رفع الجميع قبعـاتهم وهللوا وأيـدوا ..وقـال كلينتـون : إن الـرجل يسير فى الطـريق الصحيح إلى الـديمقـراطيـة !.. شىءعجيب .. عن أى الـديمقـراطيـة يتحـدثـون ..عن الديمقـراطية يتحـدثون أم عن مصـالحهم ، لقد صـادف تخريب روسيا هـواهم فهللـوا وصفقـوا وأيـدوا وقـالـوا: نعم روسيـا تسير فى طـريق الديمقراطية . وهل هذه الديمقـراطيةهى التى ستوحد العالم . وحينما يقتل جندى أمريكى واحـد فى الصومال ويوضـع طيـار واحد فى الأسر يرتفع ألف صـوت فى أمريكـا يصرخ بالتهـديد والـوعيـد ويذكـر بحقوق الانسـان .. وتتحرك البوارج والدبابات وحاملات الطائرات وتنصب النيران من السماء على الشعب الصـومالى الجائع العريـان . وحينما يقتل مائتـا ألف مسلم فى البوسنة وتغتصب ستون ألف أمـرأة ويشرد ٢ مليون لاجىء يلزم الجميع الصمت ، ولايخرج من امريكـا صوت ولا يصدر قـرار باستنكار مـاجرى لحقـوق الانسان ولاتقلع طـائرة ولاينطلق صـاروخ واحد ليحمى حقـوق الانسـان .. عن أى حقـوق انسـانيـة يتحـدثـون ؟! ونسأل ومن حقنـا أن نسأل.. أهذه هى الديمقراطية وحقوق الانسان التى تبشر بها امريكا والتى يرشحهـا الغرب ويختار هـا العلمانيون لتحل محل الأديـان الموجودة التى تفـرق الناس وتجعلهم اعـداء ؟! وتجعل العالم محلا لصراعـات لاتنتهى .. والمقصود طبعا هو الاسلام .. والمطلـوب محوه من قائمة الأديان السماوية

هـو الاسلام ..فهـو وحده الـذى يضمر العـداء .. وهو وحـده الذى ينـوى الخراب للعالم وهو اتهام مثل قـول البعض ان محاكم التفتيش فى العصور الـوسطى هى المسيحيـة التى دعـا اليها المسيح .. وهـو ليس اتهامـا وانما تشنيع ظالم وسـوء نية وخلط فكرى وهـذا هو عالم اليـوم .. مسرحا للظلم والفـوضى الفكـريـة وتسـابق فى خلط الأوراق .. ومحاولـة لمحـوالأديـان واتهامها بما ليس فيهـا للخلاص منها . ولـن تصلح الديمقراطيـة دينا ولا حقوق الانســان ملة لأنهم يجعلـون منها ثيابـا فضفاضــه يفصلونها على هـواهم ويقيســونها على مصـالحهـم . فـديكتـاتـوريـة يلتسين هى عين الديمقراطية لأن خراب روسيا وانقيادها يروق لهم . وسيظل دين الاسلام الذى أنـزله الله هـو الحل لأنه لايتبع الهوى ولايحابى جنسـا على جنس ولا لـونا على لـون ولاقومـا على قوم .. فقـد جاء الاســلام وجاء محمـد رحمة للعـالمين وليس رحمة للشرق الأوسط أو الجزيرة العـربيـة وحدهـا . ولأن الاسلام يعنى القيم والمثـل والاخلاق ولأنه يأمـر بالعـدل ويحمى حقوق الانسان من قبل أن يعرف الاوروبيون هذه الحقوق .. وبدون القيم وبدون الاخلاق لن تقوم للـديمقراطيةقائمةولالحقـوق الانسان وجود ولن تصلح أى من هـذه النظم الـوضعية بـديـلا للـدين . ولأن الديـن يقو ولايصدق عمل دون أن تصدق النية .. فلن يكون للدين بديل و أن يحل محله .. لأن النيـات لامكان لها عند الماديين فهـى عندهم عيب وهم لايعبـأون الا بالظاهر ولايعمـلون الا للظــاهر . والاسلام اعطانا الخـلود واعطانا الآخرة ووعدنا بالجنة الابـدية . فماذا وعدونا هم سوى الكوكاكولا والهامبورجـر والجينز ومـادونا وجاكســون وسائرالمتع المنحلـة ثم عمر قصير ينتهى بالموت والتراب .. ولنا روح لاتفنى هى نفخـة الله فينا ولنا رب لايموت فماذا تعد أحزابهم العلمانية أتباعهـا سوى الغرور والمغانم الوقتية واحلام السيطرة الزائفة وماذا عنـدهم سوى المال الزائل والحظوظ الفانية .. ومرحبـا بالديمقراطيـة الصحيحة ونحن نهتف معهم لهذه الديمقـراطية ونسعى اليها ولكنها لن تصلح بديـلا لديننا وانما هى مجرد شرعة تستقيم بها دنيانـا وهى بعض مـايأمر به اسـلامنا وهى بعـض أعمدته التـى أقام

عليها عمار الأرض وصلاح المجتمع . والإسلام يجمع لنا حسنات الدنيا وحسنات الآخرة .. وهو الغذاء المتوازن للروح والجسد والاشباع الكامل لتركيب الانسان الجامع بين تراب الارض ونورانية السماء . وستظل كل النظم الوضعية من اشتراكيات ورأسماليات وديمقراطيات وديكتاتوريات كيانات ناقصة فى حاجة إلى زرع ضمير وزرع قيم وزرع أخلاق لتعيش وستظل كمريض الفشل الكلوى فى حاجة الى غسيل دم وفلترة سموم دورية متكررة لتستمر ؛ لأنها لاترى فى الانسان الا جسمه وحاجاته المادية ووجوده العابر .. ولاتبصر روحه ولا تعترف بالذات الالهية التى نفخت فيه تلك الروح . ونعترف معهم أن اكثر المسلمين متخلفون رجعيون كسالى ، ولكننا نقول إن تلك الكثرة المتخلفة لاحظ لها من الاسلام إلا الاسم والبطاقة.. وأنها ليست حجة على الاسلام ولكن الاسلام هوصاحب الحجة عليها .. ونقول ان الله امتحن المسلمين بالدنيا ليميز الخبيث من الطيب.. وقال إن اكثر الناس لايفقهون، وأن أكثرالناس لايؤمنون . وقال عن المؤمنين : « وقليل ما هم» وسيظل الاسلام تحديا مستمرا لكل ماتقدم العقول من بدائل . والاسلام يحتوى على الديمقراطية ولا تحتوى الديمقراطية عليه كما يحتوى على كل ماقالوا من حقوق الانسان وعلى أكثر مماقالوا .. بل ان ثورة الحفاظ على البيئة وعلى التنوع الحيوى التى يقول بها مثقفوهم الآن هى أصل من أصول الاسلام .. لان الأرض وماعليها ميراث المسلم وهو مسئول عنها وعن الحفاظ عليها وعن تنميتها مثل مسئوليته عن ميراثه والتاريخ يقول ان المسلمين كانوا مسالمين وان العدوان دائما كان يأتى من الأطراف الآخرى .. حروب الاستعمار والحروب الصليبية.. هم الذين أعلنوها والغزو الثقافى والفتن الشيوعية هم الذين روجوها ، والإبادة التى تجرى للمسلمين فى أوربا حاليا هم وراءها وهم مدبروها .

ومازال التاريخ يحكى.. ومازال المسلمون يتلقون الرصاص عن يمين وعن شمال .

عن السوق الشرق أوسطية

المتفائلون يقولون إن السوق الشرق أوسطية والانفتاح على اسرائيل سوف يأتى بنهر من الاموال والمعونات والدولارات والخير العميم لمصر وان

علينا ان نفتح أذرعنا بلا تفكير ونتعامل مع تلك الفرصة المتاحة بدون عقد وندع مخاوف السياسة ووساوس الدين وراء ظهرنا ونفكر بذهن اقتصادى محايد وبأسلوب علمي موضوعي.. فهذا مشروع مارشال آخر في الطريق وسوف ننهض كما نهضت المانيا في سنوات قليلة.

وعن التنافس مع اسرائيل في ظروف غير متكافئة يقولون:

إذا كان في اسرائيل علماء فعندنا علماء نوابغ في كل فرع ويكفي أن نذكر أحمد زويل المرشح لجائزة نوبل في أمريكا والدكتور مجدى يعقوب الذى حصل على لقب «سير» في انجلترا .. وغيرهم وغيرهم في كندا وفي اوربا وفي كل مكان .

وأقول لهم: نعم هذا حدث ولكنكم نسيتم أين تفتحت مواهب هؤلاء وأين نبغوا.. انهم ظهروا ونبغوا حينما هاجروا إلى امريكا وانجلترا وعاشوا في مناخ مختلف .

إن مصر مليئة بالمواهب والعبقريات هذا صحيح ولكن المناخ العلمى والاجتماعى في مصر سيىء ومتخلف والبروقراطية والسرطان الحكومى والشللية تجثم على أنفاس الناس وتكبل مواهبهم.. كم من الأموال ترصد للجامعات والشركات الكبرى للأبحاث.. مبالغ لاتذكر.. بينما هى في امريكا وأوربا واسرائيل مليارات..لقد اصلحوا مرصد هابل في الفضاء بمليار وخمسمائة ألف دولار بينما مرصد القطامية معطل على الارض من سنين على مبالغ تافهة لاصلاح مرآته ومازالوا يجتمعون وينفضون بدون حسم.. وبدون نتيجة.. والقبة السماوية في أرض المعارض عندنا انهدمت على مافيها لم تتحرك يد لبنائها وتجديدها.

وكل شيء يجرى في حركة بطيئة سلحفائية لاتلبث أن تتوقف في اختناقات ومعوقات لاآخر لها .

والوعود بإصلاح البروقراطية مازالت كلام جرائد والقضاء على البلهارسيا في مصر أسهل الف مرة من القضاء على البيروقراطية.. ومع ذلك مازالت البلهارسيا موجودة منذ خمسة آلاف سنة. وهناك كارثة حقيقية في التعليم وتخلف في المناهج وبدائية في المعامل والمختبرات وتكدس وازدحام في الفصول والمدرجات يمنع من تحصيل أى فائدة .

إن البنية الاساسية للعلم والبحث تكاد تكون غير موجودة.

ونحن فى حاجة أولا إلى اصلاح البنية الأساسية للعلم لندخل فى أى سباق.

وللأسف نحن نهتم بالكورة أكثر .. وقد انفقنا ثلاثمائة مليون دولار على الدورة الاولمبية الإفريقية بدون عائد سوى السمعة الكروية الكاذبة..

إن التفكير السياسى فى بلدنا يجب أن يتغير والأولويات يجب أن يعاد النظر فيها .

ولاتوجد أولوية قبل التعليم والبحث العلمى إذا أردنا أن ندخل هذا العصر وأن نسابق سنغافورة ولا أقول اسرائيل .

ولست ضد السوق الشرق أوسطية ولكن علينا أن نمتلك أدوات اللعبة قبل أن ندخلها ولا نفرط فى حسن الظن ،فإسرائيل تريد مصلحتها بهذه السوق قبل مصلحتنا.. والفلسطينى والسورى واللبنانى هم عمالقة التجارة وحيتان السوق وقد هزمتنا لبنان فى سوق الكتاب وكانت بيروت عاصمة النشر وعاصمة الكتاب العربى حتى وهى فى غمرة الحرب الأهلية.. والكتاب فى لبنان كان يتحرك فى سهولة أكثر لينتشر فى العالم بأسرع مما يتحرك الكتاب فى مصر حتى ولبنان تمطرها الصواريخ.. وهؤلاء ومعهم أسرائيل هم المنافسون الجدد الذين سننافسهم فى السوق الشرق أوسطية .

لماذا لانتجه غربا الى ليبيا وجنوبا الى السودان فهناك ثروات بكر وغابات غنية ومساحات فلكية وفرص للاستثمار وأسواق بلا حدود.

ولماذا نقف على البوابة الامريكية لانبرحها.. لماذا لانتحرك دبلوماسيا نحو الصين..إن اسرائيل ترابط هناك منذ عشر سنوات وزيارات الخبراء والوزراء وأصحاب الشركات الاسرائيلية لاتنقطع.. وقد تحدثت الصحف اخيرا عن التكنولوجيا المتطورة التى تسربها اسرائيل الى الصين كرشوة محبة وعربون صداقة منذ أكثر من عشر سنوات .

لقد أدركت اسرائيل أن الصين هى نجم الشروق المقبل فرابطت على بابه ووقفت فى رحابه.. بينما وقفنا نحن على العتبة الامريكية لانبرحها .

إن السياسة المصرية فى حاجة إلى اعادة نظر فى كل شىء..وتوجهاتنا آن لها أن تتغير.

● ● ●

مأساة مسلمى البوسنة

توارت أحداث البوسنة خلف حريق برلمان روسيا ومذبحة الديمقراطية فى موسكو ومذبحة الجنود الامريكيين فى الصومال وصراع بى نظير بوتو ونواز شريف فى باكستان وأخبار الزلازل والأعاصير والسيول فى كل مكان ثم عادت تطل برأسها الدامى الرهيب من جديد .

وقرأنا عن الفظاعات التى يرتكبها الكروات وكيف أنهم يقيدون أسرى المسلمين بأحزمة من الديناميت والمتفجرات ثم يضعونهم فى مقدمة جيوشهم الزاحفة ليكونوا دروعا واقية لعدوانهم وكيف أنهم يملأون الخنادق بالألغام ويضعون فيها الأسرى المسلمين لتحميهم إذا تراجعوا وقد تفوق الكروات على الصرب فى البشاعة والحقد وقرأنا عن اغتصابهم لعجائز النساء والأطفال إمعانا فى الاهانة والاذلال بعد أن كانوا رفاق السلاح بالأمس .

ثم بعد ذلك يلوم البعض الرئيس المسلم عزت بيجوفتش لأنه رفض التقسيم ، وشرط قبوله بإعادة الاراضى المنهوبة وتقديم الضمانات الدولية التى تضمن التنفيذ ، وقولته المشهورة: نموت واقفين أفضل من أن نموت راكعين.. وهى قولة بطل.

لقد تأسف كلينتون لهذا الشرط الذى وضعه المسلمون لقبولهم للتقسيم.. وعجبت لأسفه.. فماذا كان يريد منهم أن يفعلوا.. وهل هو معهم أم عليهم ؟!

وذكرتنى بطولة المسلمين البوسنويين بموقف الصوفى المسلم الشيخ نجم الدين الخوارزمى حينما دخلت جيوش التتار خوارزم ، فدعا الناس للصلاة جماعة ثم قال لمريديه : قوموا نقاتل فى سبيل الله ودخل بيته فلبس خرقة شيخه وحمل على العدو فرماهم بالحجارة ورموه بالنبل وجعل يدور ويرقص حتى أصابه سهم فى صدره فنزعه ورمى به نحو السماء وتفجر دمه وهو ينشد مخاطبا مولاه:

إن أردت فاقتلنى بالوصال أو بالفراق.

وفى كتابه «فواتح الجمال وفواتح الجلال» يروى الدكتور يوسف زيدان حياةهذا الصوفى الذى يعده أعظم رجال التصوف السنى فى المشرق الاسلامى.. ولمن يريد أن يعرف المزيد عليه أن يبحث عن الكتاب.

وهؤلاء هم المسلمـون الذين أحبوا لقـاء الله فتسابقوا سـابحين إليه فى أنهار من دمائهم.

وما أراد الله بالقـدر الدامى الذى يجريه فى البوسنـة إلا ليضرب لنا مثلا وليشهدنا ويشهد الدنيا..

لماذا خلق الجنـة ولمن خلقهـا.. ولماذا خلق النار ولمن خلقهـا.. وليشهـد ملائكته على أحبائه وليقول لهم: اكتبوا أن هـؤلاء أحبائى وانا وحدى القادر على مثـوبتهم ومن أجلهم خلقت جنتى وأن هـؤلاء أعدائى المبغضـون ومن أجلهم خلقت نارى.

واذا كانت أوروبـا وامريكا تخشى الاسلام وتجعل منـه عدوها الأول.. فـلأنها تـرتجف رعبـا من هـذا الايمان .. ومن هـذه المثل البطـولية التى لاتـدرى كيف تتعـامل معهـا بـالـدولارات .. إنها تخشى هـذه الطـاقـة الاسلاميـة الكامنة.. ولاتخشى واقعـا عدوانيا.. فـالمسلمون فى الحضيض ولايملكون تهديد بعوضة.

وأقول للحكـومات الاسلاميـة المتقاعسـة عن نجدة الاخوة فى البـوسنة الـذين لم يطلبـوا منهم إلا المال والسـلاح.. وفى اجتماع الدول الاسـلاميـة الأخير لم يطلب عـزت بيجوفتش إلا مـائتين وستين مليـونا من الـدولارات (ثمن قصر صغير من قصور الترف العربية وآخـر قصر فى لندن يبنيه ثرى عربى بتكلفة ٧ مليارات من الدولارات).. ومع هذا لم يظفر عزت بيجوفتش من الكرم العربى بأكثر من خمسين مليونا من الدولارات.

وعجلة الزمن تدور.. وتوشك الستـار أن تسدل على الابطال الصامدين فى الميدان وأقول للحكام العرب:

ادفعوا لتنجدوا أنفسكم من أهوال يوم عظيم فإنكم أمام إله لاينسى.

ادفعوا قبل أن تسدل الستار ثم لايبقى لكم إلا الندم.

انجدوا أخوانكم فى خنـدق الموت قبل أن تلحقوا بهم والموت أقرب الى كل منـا من شراك نعله.. ومـا الـدنيا بـزخرفهـا إلا ديكـور من الخرق الملونـة وأوراق اللعب.. وغدا ينهـد السامر ويتفـرق السيرك الى حيث لاتنفع صلاة

ولاصيام ولا ينفع إلا قلب سليم من الغش ، خال من النفاق وأيد صدقت وعملت وجاهدت فى سبيل كلمة الله .

وأخيرا حيث لا أحد يقرأ ولا أحد يسمع وقد وضع الكبار القطن فى آذانهم.. فإنه لم تتبق الا الشعوب.. لم تبق سوى كلمة الشعوب .. الف مليون مسلم يمكنهم مباشرة المقاطعة الفعلية لمنتجات هذه الدول .. وسوف يجدون البديل الجديد فى السلع اليابانية والصينية والكورية، فى كل مايحتاجون اليه فلا يشترون فتلة من المنتجات الانجليزية أو الفرنسية أو الروسية أو الامريكية أو الصربية .

أنهم يمكن أن يثبتوا أن لهم وزنا وأن لهم كرامة.

وأغنياؤهم يمكن أن يعطوا المال.

وضعفاؤهم يمكن أن يخروا ساجدين ويرفعوا الأيدى بالابتهال والدعاء.. ويصرخوا الى الله داعين كما دعا موسى على فرعون وقومه:

« ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ».

فليسجد ضعفاؤنا باكين متضرعين متوسلين بجميع قلوبهم :

ربنا زلزل بنيانهم وامحقهم عددا وبددهم بددا واحجب عنهم علمك وامنع عنهم فضلك واقدر عليهم رزقك.. ربنا وعاملهم باسمك العلى الجبار المتكبر المنتقم المهيمن المذل القابض المميت.

ربنا ياناصر المستضعفين ومجيب دعوة المضطرين .. انصر هذه القلة الثابتة الصابرة المصابرة المقاتلة من مسلميك فى سراييفو وفى أنحاء البوسنة وايدهم بجنود من لدنك.. فلا إله إلا انت سبحانك ولا احد يعلو عليك..

إن اعداءنا قد بغوا علينا بقوتهم ونسوا قوتك وحسبوا حساب كل شىء إلا وجودك.. فذكرهم يارب بأيامك.

ادعوا من قلوبكم يا أخوة موقنين بالاجابة.. فليس بين دعوة المظلومين وبين الله حجاب .

الغزاة

الجدد

اللافتـات وأسماء المحلات فى الشــارع المصرى تكاد تختفى منهـا اللغة العـربيــة وحيثما ذهبت بعينك لاتـرى الا أسماء فرنسيــة أو انجليـزيـة أو ايطاليــة .. على اليمين وعلى اليسار غزو ثقافى مكتسح .. أوتيل كـونتيننتال .. روستوران أورينتــال .. بوتيك شارم .. بيتـزا ايطاليانو .. عصير مـادونا .. حلـوانى دليشس .. كافيــه كابتشينــو .. أيس كريم تـاون .. كويك فـود .. كوافير رومانتيك .. عجلاتى كويك رن .. ميكـانيكى ستاندرد .. سراير هاى لايف .. تــرزى شيك .. أزيــاء مـودرنــا .. الخ .. الخ .. ولا تجد هــذا أبـدا فى المسـاجد .. وانما تجد الأسماء العربية والعـربية الفصـحى .. مسجد الرحمة ومسجد الرحمن .. ومسجد التقوى .. ومسـجـد الرضوان .. ومسـجد قباء .. ومسجد محمود .. ومسجد التوبة .. ومسـجد المغفرة .

الاسلام هو الـذى حفظ هوية المنطقة .. وهـوالذى مازال يضبط النطق العربى .. وفى هــذه الفوضـى من التفـرنج والاغتراب كان المسجد هــو مؤشر الأصالة والحافظ للطابع والميراث العربى .

ومازلت أعتقد أن الـدين هو الذى حفظ المنطقة مـن الضياع والانسلاخ والتلون باللون الذى أراده المستعمرون .

وكان من نتيجة هذا العامل الـدينى الضابط للايقاع .. أن حدث العكس ورأينا المستعمـر هو الذى يتلـون باللون العـربى ويتشرب الذوق المصرى ويتعلم اللهجــة المصريــة والنكتــة المصريــة والأكلة المصريــة ، ونـذكـر أن الاسكندر حينما غـزا مصر لم يستطع أن ينقل اليهـا آلهة الأولمب اليونـانية وانما على العكس البسه كهنة سيوة ديانــة آمون وخرج من معبد سيوة على اعتقاد انه ابن الالــه المصرى الذى حبلت به أمه المقدونيــة .. وكلها أدلة على

سلطان الدين وقوته فى مصر .. وأن مصر تصبغ الـذى يغزوها رغم مايبدو فى ظاهر الشارع المصرى انها هى التى تصطبغ بلونه .

والحقيقـة ان الغـزو الثقـافى رغم ضراوته لم يتجـاوز القشرة الـرقيقـة الخارجية التى ما تلبث أن تتمزق أمـام أى عارض وتظهر من تحتها الماهية والهوية الدينية الأصيلة لهذا البلد العريق .

والحضور الاسلامـى يفرض نفسه هذه الأيام ونحـن نرى الآن الهوية الاسـلاميـة تملأ الساحـة بكل درجـات الطيف من الحضـور الاسـلامى الواعى والمستنير الى التشــدد والتطرف الى الهوس الى الاغـراق فى الشكليات والتصلب على الشعارات الى الجنون والفوبيا الدينية ..

والهوس والتـدين الشكلى والنقاب والقفـازات والعباءات السـود هى فى نظرى غـزو ثقافى آخـر مضاد وهو أجنبى عنـا وعن اسلامنـا بقدر غـربة وأجنبية العرى الفرنسـى والثقافات الأمريكية المنحلة .

وهو سلاح مسدد لغزو الاسلام مـن داخله مثلما أن الثقافات الامريكية المنحلة هى سلاح مسدد لهدم الاسلام من خـارجه.. والفرق انه غزو للبيت من بابه.. غزو يستعمل نفس الأبجديـة الاسلامية ويستخدم نفس الرموز الدينية ويدخل علينا من الشرق وليس من الغرب.. ويقول بسم الله الرحمن الرحيم.. ولا اله إلا الله..كما نقول.

وجماعة البـلالين فى أمريكـا (نسبة إلى بـلال) الذيـن يركبـون البغلة اقتداء بـالرسـول عليه الصـلاة والسلام ويأكلـون بأصابعهـم ويقضـون الحاجة فى الخلاء.. هم نمـوذج آخر من هذا الهراء الـذى يسىء إلى الاسلام ولمعنى السنة المحمديـة، فالنبى عليه الصلاة والسلام لم يتميـز عن اقرانه بركـوب البغال ، فالكل كـانوا يركبون الـدواب وكانوا يقضـون الحاجة فى الخلاء وكانـوا يأكلون بأصابعهم.. وإنما تميـز وانفرد بالصدق والأمـانة والشجاعـة والشهامة والتقوى ومكـارم الاخلاق.. وفى هذا يكـون الاقتداء وليس فى البغال وفى الأكل بالاصابع وفى قضـاء الحاجة فى الخلاء.. وليس فى ذلك السخف أى سنة وانما هو غزو ثقـافى مضـاد يستخف بالاسلام ويهزأ من السنة ويضحك على العقول.

وكل هذه التيارات المتناقضـة تموج بها دوامة الشـارع هذه الأيام.

ولايـدرى بعض دعـاة الاسلام أنهم دعـاة ضـد الاســلام من حيث لا يشعرون.

ويختلط الحابل بالنابل وتختلط الأوراق على ضعفاء النفوس .

ولا ننسى الغـــزو الاخـر الجهير القـــادم من الشمال فى سينما الجنس والعنف ومسرح الهزل والفحش وغنـــاء الـــديسكـو ومــــوسيقى الـــزار والهلوسات التشكيليـة التى تدلق الألوان على اللوحـات وتسميها جماليات سيريـالية ، وتضع كـومـة من الزلط وتسميهـا نحتـا ، وتجمع زبالـة من الحديد الصدىء وتسميها تمثالا.

ثم الغزو الثقافى الآخر فى الشعـر .. والمذاهب الجديدة فى النظم بلا نظم .. والإغراب لمجرد الإغراب .. والأبيات التى بلا نحو وبلا اعراب .. وأنواع اللغة التى فقدت تواصل اللغة ووظائف اللغة .. وقصيدة ج وأمثالها .

ثم الغـزو الآخر الفـاجـر فى الروايـة الجديـدة لسلمان رشدى « آيـات شيطانية » الـذى تصور مؤلفها أنه أتى بـإبداع جديد فى عالم الـرواية وما أتى إلا بأحقاده الشيطانية وماعبر الا عن مرضه النفسى .

ومصر بلد مفتـوح النوافذ على ثلاث قـارات : أوروبا وآسيا وافـريقيا .. وهى لا تستطيع أن تغلق أبـوابها لأنـها جسر عبـور وممـر تجارى وثقـافى وحضـارى وملتقى زوابع .

وهى بلد غنية بسواحلها وآثارها وبترولها ومعادنها وناسـها وتاريخها وهى مطمع الكل .

وفيما مضى كان يغزوها العسكر وتفتحها الجيوش .

أما الآن فالغزو اقتصادى وثقافى وهو يدخل من باب الصحيفة والكتاب وشاشة التليفـزيون .. ويحكم من داخل صندوق النقـد الدولى .. ويسيطر من خـانة القـروض والفوائد .. ويتسلل من ثغـرة التكدس السكـانى ومن الحاجة إلى القمح والرغيف .

والجيـوش الآن جيــوش خفيـة.. اسمهـا .. الموســـاد .. والـــ CIA والماسونية .. والمخدرات .. والارهاب .. والقنابل .. والمتفجرات .

والتآمر يستعمل الآن نوعا جديدا من العمالة الراقية .. هم وجهاء الناس وكبراؤهم وسادتهم وأغنياؤهم .. كما يستعمل نوعـا آخر من العمالةالدون يدربها على القتل وتفجير القنابل وتلغيم العربات .

وفى هذه الأجواء العنكبوتية يعيش المواطن المصرى .

وفى هـذا العصر المرعب يعيش العالم المقبـل على فواتح القـرن الحادى والعشرين .

والمتـابع للإخبـار والقارىء للصحـف يصاب بضغط الـدم والذبحـة والجلطـة والاكتئـاب لكثرة مـايقـرأ ويشـاهد من الانفجـارات والثـورات والانقـلابـات وعجائب الجرائم واحـداث القسـوة والعنف التى تشيب لها الـــــرؤوس وكـأنما اختفى الضمير فجـأة وتحول البشر الى قطيع مـن الحيوانات .. وتتكلم دول كبرى عن حقـوق الانسان وهى ذاتها تدوس على عنق هـذا الانســان بـالحذاء .. ووسط هـذا الجنــون لاشىء يمسك على الانسان عقله ويعيد بعض الهدوء إلى قلبه المرتـاع الملتاع سوء بقية من دين وبصيص من ايمان عميق واسـلام صـادق منقاد لقضـاء الله وقـدره واثق بحكمته المستترة الخافية من وراء كل شىء .

مـــاذا يـريـــدون ؟

أمـريكا تثير العـالم على ايـران وتحاصرها بـالتهم وتلفق لها الأخبـار وتدفع عليهـا الأصدقاء والحلفـاء وتحرك سفاراتها فى كل مكـان .. ويبدو انها تمهد المسرح لشىء وتبيت لعدوان مخطط . ولكن السؤال : لماذا تحاول أمريكا أن تضرب ايـران بأيد عربية ؟ لماذا تحاول أن تضـع عدوانها فى قفاز عربى كما فعلت فى حرب الخليج ؟ .

لماذا لاتفعل مـاتـريـد أن تفعلـه فى وضح النهـار دون ان تتخفى خلف العبـاءات العربيـة بدعـوى الانقـاذ واعادة السـلام والتوازن إلى المنطقـة والتحذيـر من الارهـاب .. ألخ .. ألخ .. رغم أن التحقيقـات تقول كلامـا آخر وتكشف عن مصادر أخرى للارهـاب غير ايـران ، فالخيوط كلها تلتقى عند مجموعة بيشاور ومجموعة بيشـاور ، كانت تعمل بأموال أمريكا وتسليح امريكى وكانت تنفـذ تخطيطا أمريكيا فى قتالها للسـوفييت .. فهى مجموعة عملاء لأمـريكا منذ البـداية .. ثم ان كل الذين قبضـوا عليهم بتهمة تفجير

القنابل وقتل السـائحين فى مصر قالـوا انهم تلقوا أوامرهـم من الشيخ عمر عبد الرحمن وهو يصدر أوامره من نيويورك وليس من طهران .

ثم ان البـاعث للقلق الأمـريكى هـذه المرة ليس عـربيـا كما كـان حينما اعتـدى صـدام على الكـويت ، ولكـن البـاعث على القلق هـذه المرة اسرائيلى صريح .. هو شوكة حماس وحزب الله التى تتوجع منها اسرائيل ويتألم لها الحليف الأمريكى .. وهـو أيضا تـراكم السلاح فى ايران وهـو أمر لاتـريده اسرائيل فى ايران ولا فى أى بلد اسلامى .

وحينما تـراكم السلاح فى تـرسانـة العـراق من قبل تحرك البنتاجـون الأمريكى كله ولعب بوش بغرور صـدام ليدفعه إلى الكويت ليضربه الضربة القاضية بدعوى تحرير الكويت بينما كان الهدف الحقيقى هو القضاء على تـرسانـة العراق وتحريـر البترول من اليد العـربية واعـادته الى السيطـرة الأمريكية وامتصـاص فوائض الثروة العربيـة من المنطقة وتركهـا فريسة الثأر والأحقاد والكراهية والجراح التى لن تلتئم لمائة سنة قادمة .

كان الهدف اذن هو الصالح الاسرائيلى والأمريكى رغم ان الهدف المعلن كـان الصالح العـربى .. واليـوم تتكرر المسرحيـة بإخـراج جديـد ورئيس أمريكى جـديد هو كلينتون وضحيـة جديدة هى ايـران .. وليس بيننا وبين ايران ثأر .. وبعـد الدرس الذى أخذناه من حـرب الخليج والجراح والأحقاد والنـزيف الاقتصـادى بلا عـائد .. لن تجد أمـريكـا الزعيم العـربى الـذى يطاوعهـا على هذه المغـامرة الجديـدة ويحرق بلده ويـدمر أسلحتـه ويبدد ثروته فى صراع عقيم بين أهل دين واحد وملة واحدة .

ثم لماذا تصفيـة القوة الاسـلاميـة والسلاح الاسـلامى فى كل مكـان .. ولماذا الاسلام هو الهدف دائما ؟ .

واذا كـانت أمريكـا قد أحجمت عـن الضربة الجويـة للصرب دفاعـا عن مسلمى البوسنة بدعوى أن أمـريكا ليس لها مصلحة .. فلماذا نراها تخطط لضرب القوى الاسـلامية الايرانية فى أقصـى الشرق .

هل المصلحـة هـذه المرة أكبر وأوثق ، ومصلحـة أمـريكـا أو مصلحـة اسرائيل أو مصلحة الغرب ؟ !

ولكن أين مصلحـتنا نحن .. أم أن مصلحتنا غير واردة ؟

ونحن طيبون وسُذج هذا صحيح .. ولكن ليس لهذه الدرجة .

وتاريخ أمريكا منذ نشأتها بدأ بـاغتصاب القارة الأمريكية بقوة السلاح وإبادة من عليها من الهنود الحمر ، وقد ظل طول الوقت تاريخا تآمريا ونظاما تآمريا .. ومعظم رؤساء أمريكا فى عصرها الحديث خرجوا من المخابرات وكانوا مديرين نوابغ لـ CIA .. والميثاق الذى جمع بين أمريكا واسرائيل .. كان ذلك الهدف الواحد . التآمر على العالم والاستئثار بخيراته .

وكلنا سمعنا الخبر الطائر الذى جاءنا من ايطاليا .. وما قالته لجنة التحقيق فى الانفجارات الأخيرة فى ايطاليا من أن الموساد كانت هى الطرف الذى يورد السلاح والمتفجرات لعصابات المافيا والألوية الحمراء .. وانها أرادت أن تثبت بذلك لحليفها الأمريكى انها أقدر على الدفاع عن مصالح البحر الأبيض المتوسط من ايطاليا المليئة بالقلاقل والاضطرابات .

وأمريكا أكثر الدول كلاما عن حقوق الانسان وأكثر الدول محاسبة لغيرها على هذه الحقوق ، ومع ذلك نرى منها وجها مختلفا فى مأساة المسلمين فى البوسنة .. وكأن المسلمين الذين يقتلون هناك ليسوا من جنس الانسان .

وما أكثر الزعماء الذين ركنوا الى الحضن الأمريكى ثم انتهوا الى الهجر والغدر والطعن فى الظهر مثل شاه ايران ونورييجا وماركوس ودفاليه وتشاوتشيسكو وصدام وموبوتو .. والبقية آتية .. وكان الغادر فى كل مرة هو الصديق الأمريكى .

أقول هذا للذكرى .. وحتى يعلم من لا يعلم .. أخلاق الصديق .. ويتحسب أخطار الطريق .

وعن السوق الشرق أوسطية مرة أخرى

كتب أمين هويدى وزير الدفاع الأسبق كلاما مهما عن السوق الشرق أوسطية دق فيه أجراس الخطر ونبه الغافل وأيقظ النعسان الى المنحدر الذى يسير فيه الجانب المصرى فى عملية بناء سوق مشتركة على غير أساس .. المفروض أن تتفق فيها أطراف عربية وأطراف اسرائيلية هى بالفعل غير متفقة على أى شىء .. فمشروع السلام فاشل .. واسرائيل تحتل

الأرض العربيـة وتنسف البيوت وتقتـل الأطفال وتطلق الـرصـاص على أى صـوت يعـارضـها . وقـال أمـين هـويـدى فى صـدق وصـراحـة : إن هـذه السـوق التى نواتهـا مصر واسرائيل هى فى حقيقتهـا مقـامـرة بمسـتقبل مصر ومستقبل العرب الاقتصـادى لأنها سوق مشتركـة بين فريسـة وصياد .. بين طامع أطماعه وأحـلامه بلا حدود يـريد أن يهيمن ويسيطر ويتسلط .. وجماعـة عربيـة ممزقـة ضعيفة ومـدينـة ومحظور عليهـا مصادر القـوة والسلاح .

وكيف تقوم شركـة عادلة بين طـرف غاصب محتل لأرض عربيـة بدون وجه حق .. وطـرف آخر لايجد سـوى الطوب والحجـارة والصراخ فى أروقة الأمم المتحـدة .. وكيف يكون لاسرائيل فى هـذه الشركة سهم مسـاو لسـهم مصر ، واسرائيل بتعـدادهـا الكلى لاتزيـد على سكـان حى شبرا بينما مصر سـوف تعطى الأرض والأيدى العـاملـة ورأس المال والنفط (الذى تطـالب اسرائيل بأن يصب فى مصـافى حيفا) وأنابيـب المياه التى تريـد اسرائيل ان تشارك فى التحكم فيهـا .. ثم تظل رافعة لأسلحـة الدمار الشـامل وللقنابل الذرية تهدد بها الجميع .. أى شركة تلك التى يـأخذ فيها طرف كل شـىء ثم لا يعطى الآخـر أى شـىء .. ثم يظل يهدده طـول الوقت بتفـوق سـاحق فى السلاح والمعدات ؟

يقولـون هى تعطى الخبرة والعلم والهندسة الـوراثية التى تنبت الفلفل البنفسجى والفلفل الأبيض والفلفل البرتقـالى .. وأقول ذقنـا هذه الخبرة فى خيار بطعم البلاستيك .. وأكلنا دجـاجا من هذه المزارع بطعم القطن الطبى وأكلنا سلالات من الموز تدهـورت أصنافها وأصبحت بطعم القلقـاس ، ولا أتحدث عن الطماطم التى لا تنتسب إلى مـذاق الطماطم بسبب ، والفـراولـة الماسخة التى فى طعم قشر البطيخ .. ولا أتحدث عن اسطورة القطن المصرى العظيم الذى تحول الى محصـول هامشى .. وعن النقص فى محصـول القمح الذى يضعنا تحت أقدام منتجى القمح الأمريكى .

ولا نطعن فى الخبرة الاسرائيليـة .. معـاذ الله .. ولكنـا نسأل الـوزيـر والزراعى الهمام يوسف والى : لماذا لا ينوع فى الخبرات التى يستعين بها ؟ ، ولماذا يضع الأرض المصريـة والمحـاصيل المصريـة رهينـة للخبرات

الاسرائيلية وحـدها ؟ يقينا إن اسرائيل ليست العبقـرية الوحيـدة فى الميدان الزراعى .

والثقة التى يضعها وزيرنا فى اسرائيل لاتكفى أساساً لمشروع كبير مثل السوق الشرق أوسطية ، فنحن هنا أمام بناء أمة وسوق عالمية تشترك فيها كل الأمـم ، والمفـــروض أن يشترك مجلس الشعب ومجلس الشـــورى والمجالس القوميـة المتخصصة ، ومصر بكل قيـادات الرأى فيهـا والبلاد العربية صاحبة الشأن فى الرأى والمشـورة .. وأن يكون هناك جو سياسى يـوحى بالثقـة واتفـاق شامل يـوحى بـالأمان .. وأن تتنـازل اسرائيل عن الأرض وعن السلاح الذرى وترفع يدهـا عن القدس .. اما أن تضـع يدها على الأرض والماء والنفط وتلـوح لنـا بأسلحـة الموت وتجعلنـا نعيش فى جـو سياسى مكهرب .. فتلك مشروعات ابتلاعية وليست سوقا شرق أوسطية .

وســاذج من يتصـور أن ورقـة كـامب ديفيـد يمكّن أن تحول العـدو الاسرائيلى فى غمضـة عين الى حبيب ، وأن تمحـو التـاريخ وتبـدل النفـوس وتغسل الأرواح .. وصـوت الرصـاص الـذى يحصد أطفـال غزة والضفـة شاهد على صدق كلامى .

وتـرسـانة السـلاح التى تتنـامى فى اسرائيل تنبىء عن عـدو يتحفـز .. وطوابير المهاجـرين التى تتدفق تطلب لنفسها أرضا ومياهـا ومجالا حيويا تعمل فى داخله .. تعبىء الجو بـالتوتـر والتربص ولا تبدو تمثيليـة السلام التى تقودها أمريكا جادة ولا مقنعة .

وعملية سلق مشروع سوق شرق أوسطية فى هذا الجو أمر سـابق لأوانه ونريد أن نفهم أولا الى أين نسير .. أو الى أين يسـار ربنا ؟!

المسلمون في خندق

أفكـر دائما وأسأل نفسى وأتســاءل : لماذا لم يحقق الله حلم الإخـوان المسلمين بالـوصول الى السلطة.. أليســوا رجالـه.. لماذا أطلق عليها ذئاب عبد الناصر.. ولماذا فعل نفس الشيء فى حـزب النهضة الاسلامى فى تونس فترك الغنـوشى وأتباعـه لمبـاحث زين العابـدين بن على ومن قبلـه للحبيب بورقيبة.. وفى الجزائر أحبط أمال الحزب الاسـلامى للإنقاذ وهو على وشك الفـوز بـالحكم.. وفى المغـرب لم يكن حزب العـدل والاحسـان الاسـلامى بأحسن حظا من اخوته ، وفى سـوريا وفى العراق لقى الاخوان مصـيرا أسوأ على المشانق والمقاصل وفى ظلام الزنازين..

لماذا لم يستخلفهم ربنا كما وعـد فى قرآنـه : «وعد الله الـذين آمنوا منكم وعملـوا الصـالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الـذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الـذى ارتضى لهم وليبـدلنهـم من بعـد خـوفهم أمنـا يعبـدوننى لايشركـون بى شيئـا » (٥٥ ــ النـور) أم أن شروط الآيـة لم تتوافرفيهم ؟ .أكاد أرى من هذه المحنة القدرية التى تكررت مرة بعد مرة .. ان الله يفضل لـلاسلام أن يحكم من خـلال أشواق النـاس وضمائرهـم على أن يحكم من خلال جماعـة تصل الى السلطة بالقوة .. وانـه يريدللمسلمين أن يسلموا اليـه أحرارا وأن يقدمـوا عليه اختيارا بـوازع من نفوسـهم وليس بوازع من كربـاج الحاكم .. يريد للاسلام أن يكون وعيـا شخصيا وفرديا لا أن يكون قالبـا اجتماعيا صنعه الرعب . لايريـد الله للاسلام أن يأتى على ظهور الـدبابات ولا أن يجى انقلابـا مثل النازية والفاشيـة والبلشفيه كما رأينـاها تأتى فى المانيـا وايطاليـا وروسيا .. وانما يـريده اقتنـاعا وايمانـا وتطـوعا ومحبـه . وقـد جـاء النبى (بلفظ القرآن) .. داعيـا الى الله بإذنـه

وسراجا منيرا . فـالاسـلام دعـوة لاثورة واستنـارة لاانقلاب . والله يعلم أن كراسـى السلطة تغير الناس وتمسخ نفـوسـهم .. وما كـان لحاكم أن يصل الى الحكم دون اذن من الله ، فهو سبحانه ملك الملوك الذى لايتم على الأرض شىء بدون مشيئتـه . والله يقول : « واتقونى ياأولى الألبـاب » لم يرد ربنا أن نتقى الحكـام ولا أصحـاب السلطـان .. ولقـد أخطأ التنظيم الأخـوانى حينما تحول من دعوة حـرة الى تخطيط صريح سرى ، ثم إلى تخطيط يتخذ العنف سبيـلا للوصـول الى السلطة .. فبـدأ العد التنـازلى لنهايتـه من ذلك التـاريخ . والله يعلم أن الفضيلة لايمكـن أن تأتى بقراروزارى ، وأن العفـة لايصنعها مرسوم ملكى ، وأن تقوى القلوب لن يحققها دستور . والله يريد تقوى القلوب لاتقوى الألسن ولانفاق الكلمات. الله يريد أن يكون ضميركل منا هـو حكومته.. ولا يـريد أبدا أن تكون ضمائرنـا مكبلة فى يد جبـار ولو كان هذا الجبار حاكما اسلاميا ولو كان نبيا ، ألم يقل لنبيه:

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال له:

« وما أنت عليهم بجبار » .

فإذا كان الله لم يـرد لنبيه أن يكـون جبارا وهـو الذى وصفـه بأنه على خـلق عظيـم.. فكيف يطلق علينـا بـاسم الاسلام جبـارة مـن سواد البشر العاديين.

ليت أعضـاء الجماعـات الاسـلاميـة فى كل مكـان يكفـون عن تطلعهم للسلطـة ، ويكتفـون بالـدعـوة الى الله على بصيرة.. والى تحبيب النـاس فى الاسلام بأن يكونوا هم أنفسـهم قدوة ومثالا وأسوة.

ولـو فعلـوا ذلك لاختلفت الصـورة ولجنبـوا أنفسـهم الكثير من الفتن ولجنبوا الاسلام هذا الصراع الدامى الذى يهلك فيه الكل.

ولو أدرك الحكام أن صولجان الملك هـو قبس من جهنم لما تسابقت اليه الأيدى.

ألم يعرض الله الأمانة على السمـوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانســان؟ فماذا قال الله بحقه؟ قال:« إنه كـان ظلوما جهولا ». فقد ظلم نفسه وجهل حدوده حينما تصور أنه قادر على حمل تلك

الامـانة.. وهى المسئوليـة والحكم فى الارض خليفة عن الله.. وهـو الجاهل بمقدرات يومه وغده.

أى عـــروش من جهنم يجلس عليهـا أمثـــال ميتران وجـون ميجـــور وكلينتـون ويلتسين؟؟ حينما يطلقـون جميعـا يـد سفـاح الصرب ليـدك سراييفو با لمدافع والصواريخ ويحيل سكانها الثلاثمائة ألف الى أكبر مقبرة فى التـاريخ.. ثم يضغطون على الأمم المتحـدة حتى لاتسمح للمسلمين بأى مدد من السـلاح يدافعـون به عن أنفسهم !! أى كـراسى من أصل الجحيم يجلس عليها هؤلاء الناس ليحكموا بـا لموت والحياة وليوقعوا مراسيم الظلم والقهر والبؤس والعذاب على الملايين بغير ذنب الا أنهم قالوا ربنا الله.

ويظن كل منهم ـــ وهو جاهل ـــ أنه بذلـك يعلى من شأن مسيحيته أو ينصر قوميته وهـو يخونها ويخون إنسانيته ويخون ديانتـه ويخون ربه ويهلك نفسه.

« ولكن أكثر الناس لايعلمون »

بل هم كالأنعام بل هم أضل.

والحمد الله أننـا لانجلس على هذه الكـراسى.. ولانفكر أبـدا فى الجلوس عليها.. ولا فى الاقتراب من أهلهـا.. ولا فى مداهنـة أصحابها.. ليس تـواضعا ولكن وعيا وادراكا وخوفا والحمد لله.

وأرجو أن نظل مـدركين لعجزنا وقصـورنا طول الـوقت ، وأن يديم الله علينا رحمته تلك.. فمن أعظم نعم الله على العبد أن يعرفه بحدوده.

اعـرف عـدوك

بادرت أمريكا الى تهديد الصين بفرض العقـوبات الاقتصادية عليها اذا مضت فى صفقـة بيع الصـواريخ لباكستـان . وبـاكستـان لاتهدد أمريكـا ولاتهدد مصالحهـا وإنماهى مجرد دولة اسلاميـة تريـد أن تحمى نفسها من الجار الهنـدى .. ومذابح المسلمين على يـد السيخ والهندوس نقـرأ عنها كل يوم . ولكنه محظور فى هذا الزمـان يأخوه على أى بلد اسلامى أن يدافع عن نفسه أو يحمى بيته ولو تعرض للذبح والتشريد والإزاله .

وليبيا ضربت بالطائرات لمجرد شبهـة فى أنها تصنع سلاحا كيميائيا ..

والعراق تضرب كل يوم بالأحذية بالإضافة الى الصواريخ لأن هناك شكوكا فى بقايا سـلاح هنا وهناك .. وايران تهدد بالويل والثبـور وعظائم الأمور لأن هناك شـائعات بأبحـاث نوويـه طى الكتمان .. واذا كان لابـد من بيع شىء من فـائض السلاح للخليج (لتشغيل المصـانع الأمريكية وحـل أزمة البطالة) فالتعليمات تقضى بأن تكون الأسلحـة درجة ثالثه ومن فضلات المخـازن التى مضى أوانها .. أمـا الحبيبة اسرائيل فلهـا رخصـة مفتوحـة بـالعدوان المستمـر على جـاراتها وعلى دك القـرى اللبنانيـة والفلسطينيـة بـالقنـابل كل يـوم رغم قـرارات الأمم المتحـدة .. ومعهـا رخصـة لتعليـة ترسـاناتها النـووية والكميائيـة والميكروبية والتقليـدية .. وأكثـر من هذا تحول اليها أمريكا فوائض ترسانتهـا العسكرية لتخزينها فى أراضيها .. ثم أكثر من هـذا تحاط علما بكل جديد وسرى من المخترعـات المتطورة .. وبكل سرى وجـديـد فى استطـلاعـات الأقمار الصنـاعيـة الامـريكيـة وأدوات الاستشعـار عن قـرب وعن بعـد . ولا تفسير لهـذا الكـرم الحاتمى والتـوسعـة من الجانـب الأمـريكى لـلأخت اسرائيل فى مقـابل الاذلال والتضييق والحصار لكل بلد اسلامـى واباحة دم المسلمين لكل معتد الا أن يكون فى المخطط الأمريكى اعطاء المنطقـة العربية (شـقة تمليك) للعـزيزة اسرائيل (المنطقة العربية كلها بمافيها من بشر وبقر)

●●●

ولا أظن أن أمريكا سوف تعرض نفسها لصراعات لاتنتهى مع ٤٧ دولة اسلاميـة على اتساع رقعة العالم فى محاولـة لملاحقة أى انتفاضة اسـلامية هنا وهناك . ولاشك أن المضى فى صناعـة ٤٧ مشكلة مع ٤٧دولة اسلامية لأن هـذه تشترى صواريخ وتلـك تبتاع غـواصـات وتلكما تتساومـان على امتلاك قـاذفات قنـابل .. سـوف يؤدى الى صداع مـزمن للعـزيزة أمـريكا وتبـديد للـوقت هى فى غنى عنـه . ومن بـاب الاقتصاد البحت .. اقتصـاد الوقت .. واقتصـاد المال .. واقتصاد الجهد العصبى .. سوف تفكـر أمريكا وربيبتهـا اسرائيل ومعهما المعسكر الاوروبـى كله (وعـداوتـه للاسـلام ظهـرت فى مذابـح البوسنـة) .. سـوف يفكر الكل فى معـالجة المشكلـة من

رأسها بحل نهائى . ورأس الاسلام هو الكعبة المشرفة والحرم النبوى الشريف والمسجد الاقصى . وقطع الرأس وكسر عين المسلمين كلهم فى عملية واحدة سوف يوفر الكثير وينهى المشكلة ويخلص العالم من الصداع الاسلامى الذى يؤرقه (والصواريخ يمكن أن تطول من بعيد أى شىء) وهذا الكلام يوافق مزاج أهل التلمود وأحلام يهود البروتوكولات .والانتقام لما فعله النبى باليهود فى خيبرموجود فى كتبهم وهو منتهى أملهم . ترى هل يفكر الحكام فى المملكة العربية السعودية فى هذه الاحتمالات أم يرونها هذيانا؟!! مجرد سؤال .. ؟ !! والذين يقولون إن امريكا لايمكن أن تقامر بالبترول فى سبيل أى هدف .. اقول لهم : ومن قال أنها ستقامر بالبترول.. الا يقع بترول المنطقة كله الآن فى يدها وفى منطقة نفوذها محاطا بقواعدها وبوارجها وفى مجال اسطولها السادس ؟!! والذين يقولون أن امريكا والدول الأوربية لايمكن أن ترتكب أمثال تلك الحماقات .. أقول لهم .. وضرب سراييفو وشعبها الاعزل وتحويلها الى مقبرة على مشهد من العالم .. أليس حماقة ؟؟ ! وضرب العراق بالصواريخ على مؤامرة وهمية لم تحدث أليس حماقة .. وتهديدها بضربها مرة أخرى بالصواريخ اذا لم تضع الكاميرات هنا وهناك فى ارضها وبيتها أليس حماقة ورزالة ؟! ونزول امريكا على شاطىء الصومال فى بعثة احسان لإطعام الجياع ثم مطاردتهم بالقنابل والرشاشات أليس سفالة .. واستباحة الاراضى اللبنانية لقنابل وطائرات اسرائيل أليس اجراما .. ألا نعيش فى عصر النذالة والاجرام قولا وفعلا ؟؟ !! الم يحاولوا حرق المسجد الاقصى من قبل ؟ ! مجرد سؤال للتفكير وتقليب وجهات النظر .. ؟ !! والاحتياط للبلاء قبل نزوله واجب ، وما فعله جيش أبرهة قبل أربعةعشر قرنا من الزمان.. ممكن أن يحدث مرةأخرى بأدوات اكثر بطشا ، وهناك صواريخ الآن ممكن أن تدمر بأكثر مماتفعل أفيال الحبشة. وهناك الآن من هم أكثر عداوة للاسلام من أبرهة وقومه . ويقول ربنا : « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » (١١٨ .. آل عمران) وهو مانراه بالفعل .. ونقرؤه فى الصفحات الأولى من جرائد كل يوم .. اننا أمام غطرسة عجيبة وغرور بالقوة وزهو

بامتلاك الأسباب .. وأمام ازدراء مهين لشأن المسلمين واحتقار لديانتهم لايعرف حدودا وأمام علمانية غليظة صفيقة لاترى لله قدرا ولا للغيب دلالة .. وهى ملامح زمان جاهلى ردىء وطابع حضارة مادية متبجحة توجت على عرشها داعرة محترفة اسمها مادونا ورفعت على صاريتها العلم الأمريكى .. فهل دار الزمان دورته وأصبحنا على مشارف معركة الأحزاب مرة اخرى والمسلمون فى خندق .. والصورة جرى تكبيرها عن ايام النبوة مليون مرة بمقياس العصر ..؟!!

وقد تداعى علينا أهل الشرك وأهل الكفر بإيعاز من يهود ليستأصلوا شأفتنا فمن لنا بالريح العاصف والطير الأبابيل ؟!!

وهل يأتينا ربنا بمعجزة ..؟!!

وهل يجىء الله بجنوده إلا حينما نحتشد نحن بجنودنا ؟!!

اقول نحتشد فقط .. ونضع اليد فى اليد والقلب فى القلب ونتقارب ونتساند ونتماسك ونجمع كل مانملك من قوة ومال لنواجه به هذا الطوفان من البغضاء ونواجه الأزمة القادمة .. أزمة أن نكون أو لانكون . وذلك أضعف الجهاد

●●●

والجهاد يقترن دائما فى ذهن القراء بإعلان الحرب على اسرائيل وهو ماتتمناه إسرائيل وتحلم به وتحاول أن تستدرجنا اليه بكل الوسائل .

وقد رأينا كيف ردت على بضعة صواريخ كاتيوشا أطلقت عليها من الجنوب اللبنانى بتدمير الجنوب اللبنانى كله ودفع نصف مليون لبنانى فى رحلة فرار الى الشمال وتفريغ ألوف الهكتارات من الأراضى من سكانها خلال سبعة أيام من الضرب المتصل (٣٥ ألف قذيفة دمرت ٧٥ مدينة وقرية) .

والشراسة والعنف والتحدى الذى اتسم به ذلك العدوان الفاجر.. كانت اسرائيل تقول به لنا جميعا : هلموا إلى.. هل من مبارز.. هل من رجل يتقدم..؟!!

ولا شك أن اسرائيل لا تريد أى سلام بل على العكس تريد الحرب

وتتعجل تلك الحرب ، لأن الزمن زمانها والرياح تهب على هواها.. فالدول العربية منقسمة على نفسها لا تجتمع لها كلمة والقواعد الأمريكية تجثم على أراضيها والفقر والديون والمشاكل تجثم على أكثرها ، والدائن هو أيضا السيد الأمريكي.. والعراق تحت الحذاء الأمريكى وليبيا مطاردة ومطلوبة للتحقيق وسوريا مهددة بأنه لها ماض فى الارهاب.. والمجتمع الدولى كله فى صف اسرائيل.. والكل فى جيب أمريكا التى انفردت وحدها بالعالم تفعل به ما تشاء وقد اختصت اسرائيل وحدها بالحب وبالدعم المادى والمعنوى والعسكرى وضمنت لها التفوق فى العتاد الحربى على كل الدول العربية مجتمعة وضمنت لها جسور تموين مفتوحة فى جميع الأوقات.

وفى مثل تلك الحالة من عدم التكافؤ تصبح أى حرب نزهة مضمونة بالنسبة لاسرائيل ،ولهذه الأسباب مجتمعة تتمنى اسرائيل أن نبدأها بعدوان.. أى عدوان ولو بضعة صواريخ كاتيوشا.

وفى الحقيقة إن من يحارب اسرائيل الآن سوف يحارب امريكا ذاتها وربما الأمم المتحدة معها.. ولهذا فالجهاد عندى له معنى آخر فى هذا الزمن الرديء.. أنه الصبر والمصابرة وبناء القوة الذاتية وتنمية الاقتصاد واصلاح التعليم وبناء سد بشرى فى سيناء بتعميرها وجمع الكلمة العربية فاذا لم تجتمع فيكفى أن تجتمع سوريا ومصر فهذا الثنائى هو الكماشة التى كانت دائما قادرة على تغيير التاريخ.

وأول بند فى القوة الذاتية هو تطوير الصواريخ بأنواعها ونظم الرادار المتنقل واستيراد الخبرة المطلوبة فى هذه الأسلحة من جميع مظانها.

ثم الجهاد الدبلوماسي لنفتح لنا نوافذ على الصين وعلى الدول الاسيوية.. والتنسيق مع أيران فى المواجهة التى تستهدف الوطن الاسلامى كله.

ثم الجهاد الاعلامى لاحباط التآمر والفتن.

ثم الجهاد الأخلاقى واصلاح الحال مع الله وطلب المدد منه.

لقد قال نبينا العظيم لمن جاءه يبكى يريد أن يذهب ليقاتل مع المقاتلين: ألك أم ؟

قال الرجال.. نعم.

قال النبى عليه الصلاة والسلام: فجاهد فيها.. بهذا المعنى يتسع معنى الجهـاد فيصبح الابن الـذى يكـافح ليطعم أمـه ويخدمهـا ويـرعـاهـا فى شيخوختها مجاهدا، كالذى يخرج للقتال فى الغزوات.

بل إن جهـاد النفس هـو فى ديننـا الجهـاد الأكبر ، وفى الحروب اختيـار التوقيت هو أساس النصر.. والحكمة هى أداة الغلبة.

والـوقت الآن ليس وقتنـا والجهـاد بـالسـلاح لم يأت أوانـه.. ولكن لن يطول الانتظار فسوف يتغير اتجاه الرياح.

والـذى بيده تصريف الـرياح وهـو ربنـا تباركت أسماؤه سـوف يغير اتجاهها.. فلن تظل أمريكا على القمة ولن يظل اقتصادها على القمة فأمريكا بناء عظيم ولكنه يتـآكل من داخله وهى فى شيخوختهـا وليست فى صباها.. ودوام حالها أصبح من المحال.

وقد أرانا الله اياته فى روسيا التى أمـاتها وهى واقفة وعلى ظهرها قنابل تكفى لتدمير الكرة الأرضية عدة مرات.

ورأيناها تزحف وتتسول ويحارب بعضها بعضا ويأكل بعضها بعضا.

حدث كل هذا دون أن تطلق عليها رصاصة من عدو.

ان معنى الجهاد فى الاسلام واسع وعظيم.

فلنجـاهد أولا فى أمنـا مصر فإذا نجحنـا جاهـدنا فى الأم الأكبر.. الأمـة العربية.. ثم الأمة الاسلامية..

وثقوا بالنصر.. ولكـن النصر له سننه.. وله خطـواته.. وسوف يجىء فى وقته.

فلنبدأ حربنـا خطوة خطوة وكل خطوة بمـواصفاتها.. وعلى مهلكم.. ولا تعطوا اسرائيل سـلاما ولا حربا ولا سـوقا شرق أوسطية ولا أمنا ولا أمـانا ولا تنهوا مقاطعتكم لمنتجاتها.

والإسلام

معطل

لا وجه للمقارنة بين الصفقـة التى حققها السـادات للفلسطينين فى اتفاق كامب ديفيد وبين الصفقة الضئيلـة التى ارتضاها الفلسطينييون لأنفسهم فى اتفـاق غزة أريحا .. فى الأولى كـانت الأرض المحتلـة كلها لهم يحكمـونها حكما ذاتيا .. الضفـة والقطاع والقدس الشرقيـة ، وكان طـريقهم الى اعلان دولتهم مفتوحـا .. واليوم تلقى اليهم اسرائيل بغزة التى ضـاقت بمشـاكلها وبقريـة أريحا مع شروط مشددة .. لا للانتفاضـة .. لا للعنف .. ولا للكلام عن دولة فلسطينية ..ولا للكلام عن القدس .. فيوقع ياسر عرفات راضيا الى جوار توقيع رابين وهو فرح فخور ..

وبـالأمس رفضـوا صنيع السـادات واعتبروه خائنـا وامتـدت الأيـدى الفلسطينية لتقتل يـوسف السباعى لأنـه كان يمشى فى ركابـه .. ثم امتدت أيـد ضالـة مجرمة لتقتل السـادات .. وسقط البطل وهـالوا عليـة التراب .. ورقصوا فرحا لمقتله واليوم يعرفون مقداره ..

وكـان السادات يفـاوض من مـركـز قوة ومن ذروة انتصـار .. أمـا هم فكانوا يفاوضون من حضيض انكسـار صاحبهم صدام حسين ومن كارثة تمزق عربى وانفجـار أحقاد عربية عـربية لا آخر لها ، ومن هاويـة افلاس مادى ولم يكن ممكنا أن يحققوا أكثر من هذا الكسب الضئيل .

واليـوم لو انطلق الـرصاص الفلسطينى فسـوف يرد عليـه الرصـاص الفلسطينى بحكم الاتفـاق .. وسـوف يقـومـون بتصفيـة بعضهم البعض بالنيـابة عن العـدو الاسرائيلى فهم حـراس الأمن بحـكم الـوثيقـة التى وقعـوا عليها .

لقـد تلقوا درسـا تاريخيا .

ولا نبكى على اللبن المسكوب .. فما حـدث قد حدث ونحن أبنـاء اليوم .. والخروج بشىء أفضل من الخروج بـلا شىء .. وفلسطين أولا وأخيرا هى شأن فلسطينى .. وعسى أن يتفقـوا على هذا القليل وتتحـد كلمتهم وتلتقى منظماتهم .. وأول الغيث قطـــرة .. والهمم اذا اتحدت تصنـع المستحيل .. ونحن معهم على ما أرادوا .

ولكن لكل مقـام مقال .. وهنـاك متغيرات قـد استجدت بهذا التـوقيع .. واسرائيل باعترافها بمنظمة التحريـر قد غيرت من اسـتراتيجيتها وبدلت من خططها تمامـا .. واذا تم الاتفاق مع سـوريا ولبنـان والأردن بنفس السرعة والسهـولة التـى تم بها الاتفاق مع الفلسطينيين ، فإن اسرائيـل تكون قـد القت سـلاحهـا مـؤقتا .. وتكـون خطتهـا للمستقبل قـد أصبحت هيمنـة اقتصـادية ..

تطبيع فورى والغـاء للمقاطعـة .. ونشترى ونبيع للجميع وسوق شرق أوسطية والمال اليهـودى والعلم اليهودى والاقتصـاد اليهـودى ، المتفوق فى سبـاق حر مع المال العـربى والعلم العـربى والانتاج العـربى .. والشـاطـر يكسب .. واذا لم نكن على مستوى اللعبة فالنتيجة معروفة .

فـاذا أضفنا الى هـذا أنشطـة أخرى خفيـة تـدبـر من الآن .. بارونـات المخـدرات ينتقلون الى جنـوب لبنـان وأوراق الكوكـا تسـتـورد من أمريكـا الـلاتينيـــة ليستخلص منهـا الكـــوكـايين ويصنـع « الكـراك » القـــاتل .. والخشخاش يزرع ويستخلص منه الأفيون والمورفين ويصنـع الـهيروين .. يحدث كل هـذا تحت الحماية الاسرائيليـة .. والهدف هـذه المرة هو اغـراق مصر والسعـودية والعـراق بالمخـدرات ، هـذا مع مخطط آخر يجرى منـذ شهـــور هـــو ضرب السيـــاحـــة والاستثمار فى مصر بمسلسل التفجيرات ومسلسل حـرق المصانع فى العـاشر من رمضان وكلهـا جرائم ذات هـدف سياسى لإفقار مصر وتدمير قدرتها على المنافسة .

يحدث كل هـذا خلف واجهة السـلام والصداقـة المتبادلـة وتصريحات المودة وكامب ديفيـد وغزة وأريحا وهـذا هو نوع السـلام والسوق الشرق أوسطية والتعـاون الحر والانفتاح الـذى نحن مقبلون عليـه ، واللعبة ذات

الوجهين التى ستلعبها اسرائيل والمخابـرات الأمريكية فى المنطقة .. سلام فى الظاهر .. ومكائد وافساد فى الخفاء لإنهاك المنطقة واستنفاد طاقاتها .

هل تنتبـه جميع الأطراف العـربيـة وتشترط فى جميع اتفاقـاتها تطهير المنـاطق تحت السيطرة الاسرائيليـة والعـربية مـن مزارع المخـدرات ومن مصانع الهيروين والكوكايين .. ؟؟

وهل تفتح أعينها على الـوجه الآخر من اللعبة .. جانـب الإفساد والمكائد والفتن والعمل من وراء الكواليس .. ؟؟

إن افتراض حسن النية فى هـذا العالم أمر غير وارد .. واليهود كـانوا الى عهـد قريب أقليـة مضطهدة وفى مـواجهـة الأغلبية من حـولهم لم تكن لهم وسيلة للمنافسة والغلبة سوى هـذه الأسـاليب الملتوية والمكائد الخفية التى اتقنوهـا وتفوقـوا فيها .. ومازال يهود اسرائيل أقليـة فى بحر من الأكثـرية العـربية .. ولن تتخلى اسرائيل عن مكـائدهـا واساليبهـا الخفية أبـدا فهى وسيلتها المضمونة للغلبة فى مواجهة الكراهية التى تظن أنها تحاصرها ، إن تخزينها لترسـانة نوويـة من مئات القنابل الذريـة والصواريخ وترسـانة أخرى كيماوية وثـالثة ميكروبية يدل على سـوء نيتها ويشهد بأنها تفترض دائما أسوأ الفـروض .. وعلينا أن نفهم هذه العقلية ونتعـامل معها كما هى ولا نفترض صداقة وهمية أو محبة خيالية .

والنظام العـالمى الجديد هـو مسرح للظلم وحلبة للفـوضى والاستغلال والانتهازية وأمـريكا ومن ورائها اسرائيل تريـدان لنفسيهما نصيب الأسد من الكعكة ولو هلك هذا العالم عن آخره .

فاذا كـان لابد لنا أن نلعب لعبة الســلام فلنلعبها بمواصفاتها العـالمية الأمريكية .. يد تصافح واليد الأخـرى على المسدس ، فهكذا رأيناها فى أفلام رعـاة البقـر الأمريكيـة ، وهكـذا رأينـا مسلسلاتها تجرى أمـامنـا الآن فى البوسنة والهرسك وفى الصـومال وفى جنوب افريقيـا وفى انجولا وفى ليبيريا وفى نيجيريـا وفى كشمير وفى بورمـا وفى العراق وفى كـردستان وفى جنـوب السودان وفى كل منطقة ملتهبة من العالم .

وعـالم النفس اليهودى فـرويد لـه فلسفة يقـولها فى كل كتبه : ان هـذا

العالم غـابة انت فيها .. آكل أو مأكـول .. ولا يوجد احتمال ثـالث .. فاختر أيهما تكون .

●●●

والاسلام فى هذه الغابة هو كلمة الله الـداعية الى المحبة والرحمة والرأفة والمروءة والنجدة والأمانة والعدل وكفالـة حرية الاختيار لكل مواطن ، وهو لايفرق بين جنس وجنس ، ولابين لـون ولون ولا يتفاضل عنـده الناس الا بالتقوى والخلق والعمل الصالح ..

والاســلام يعلمنـا اننـا مخلـوقـون لحيـاة محدودة ثم نمـوت ونبعث ونحاسب .

وكذلـك تدعو جميــع الأديان السماوية الى نفس الـوصايـا ونفس القيم ونفس الأخلاق ونفس المبادىء ، ومنذ آدم والنــاس يعلمون انهم مخلوقون ليحيوا لآجال محدودة ثم يمـوتون ويبعثون ويحاسبون .. ونجـد مشاهد الحساب والميزان فى مقابر الفراعنة وأهراماتهم .. ومع ذلك فلا أحد يعتبر .. والغـابة مـازالت غـابة .. بل إن وحـوشها يـزدادون تـوحشا ويصنعـون لأنفسهم مخالب ذرية وأذرعـا كيمائية وأرجـلا ميكروبيـة يبطشون بها .. ونرى فى البوسنة من يقتلون باسم الدين والدين من جرائمهم براء ..

ويسـأل السائلون دائما : ولماذا المسلمـون متخلفون وفى الذيل من دول العالم ولماذا هم أكثـر الدول تأخـرا وضعفا رغم كثـرتهم ورغم ثرواتهم ؟! فأقول : لأنهم فهموا اسلامهم فهما خاطئـا .. فهموا الاسلام على أنه تواكل واعتزال وزهد وسلبيـة وخضـوع وخنوع واسقاط للتـدبير ، فكل ما يحدث أمـامهم من ظلم فهـو قدر الله .. ولا يجوز الاعتراض على قـدر الله .. فهمـوا الاســلام على أنه استســلام للمخلـوقين ولقهـر الظروف ولظلم الطغـاة .. وأسمـوا كل ذلك قـدرا لايصح الخروج عليـه ، وأن الله هـو الفـاعل وليس للمخلوق فعل ولا عمل .. الا التسليم والرضـى .

وآخرون منهم تجمـدوا على النصوص وتحجـروا على الألفاظ وتـوقفوا عند سلفيـة محدودة مقفلة داخل ظروفهـا وتاريخها فـدخلوا كهفا حيـاتيا باختيارهم وأصبحوا حفريات دينية .

والمسلمون أكثـر الناس تـلاوة لكتابهم تـرتيلا وتجويـدا ولكنهم قعود دائما وفى حـالة سكـون لا يتقدمـون .. يقرأون كتـابهم بعيون الموتى فـلا تطلق فيهم الآيـات قوة دافعـة للحركـة والعمل والبحث والاختراع .. مع أن القرآن كتاب حركة وعمل .

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق »

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم »

وفى كل آية أمـر بالسير والنظر والحركـة والتفكروالتـدبر والتأمل ، وفى الاسلام ديناميكيةوايجابيـة وحض على العمل والسفر والسياحة فى الأرض والبحث العقلى .. فنـراهم يتركـون كل هـذا ويختارون الاعتـزال والخلـوة والانقطاع للتسـابيح والصلوات .. والصـلاة مطلوبـة والتسابيح مطلـوبة ولكن مطلوب بعدهـا أن ننطلق فى الأرض لنبتغى من فضل الله .. ولقد خرج عقبة بن نافع من قلب الصحراء العربية على فـرَسه غازيا يدعو إلى الله حتى بلغ الشمال الافريقى ثم استمر حتى بلغ أقصى الغـرب فلماذا لا نأخذ هذا المثال الحركى .. ولماذا لانرى فى كتابنا تلك القوة الدافعة التى شعر بها ذلك الـرجل السلفى الفطرى ، ومثلـه ابن خلـدون وابن بطوطـة .. بل ان الملاح الذى قـاد سفينة فاسكـو ديجاما الى الهنـد عبر رأس الرجاء الصـالح كان عربيامسلما .. والذين رسموا الخرائط الجغرافية الأولى للقارات كانوا علماء مسلمين مثل الادريسى والاصطخـرى والقـزوينى والبلخـى والمستـوفى والمسعودى وابن حوقل .. فلماذا لا نأخذ هذه المثل السلفية ؟ . ولماذا لانقف الا عند اللحية وتقصير الثوب والسـواك والأكل بالأصبع والسروال والنقاب الى آخر هذه الشكليات التى لاتقدم ولا تؤخر ، ولماذا هذا القعود والسكون والسلبيـة والرجعيـة فى دين يأمـر بـالحركة والعمـل والانطلاق فى أرجـاء الأرض ؟ ولماذا يذهب أصحـاب مذاهب التنـوير الى تنـوير آخر مـريب عن طـريق التشكيك والتغـريب والعلمانيـة .. ينتهى بنـا الى الخروج عن الملـة بالكلية .. ولماذا لاترى عيونهم التنوير الباطن بالفعل فى كل آية ؟.

والقرآن نفسه كتاب تنوير من أول آيـاته .. اقرأ باسـم ربك الذى خلق ..

أمر صريح بـالقراءة وطلب الاستنـارة والاستدلال على طـريق الخير باسـم الرب الخالق الذى خلق .

لم يفهمـوا كل هذا وتعـاموا عنـه وطلبـوا التنويـر من ديكارت وهيـوم وأوجست كـونت .. وكـان تنـويـرهم يبـدأ دائما بـرفض الإسـلام نفسـه والتشكيك فيه وفتح الباب لغزو ثقافى غربى يأتى ومعه آلته الاستعمارية .. وعلى هذا الدرب سار سلامة موسـى وطه حسين وبقية الطائفة .

أما بقية المسلمين فقد استراحـوا الى الكسل والتواكل والسلبية والجمود ولم يفهموا من القرآن الا ما تهوى نفوسـهم العاجزة التى لا تريد أن تنهض لأى عمل .. وهكذا ضاعـت حقيقة القرآن وجوهره من أيـدى أهله ولم يتبق منه إلا حواشيه .

والحقيقـة ان الاسـلام ظل معطـلا منـذ مئـات السنين ولم يـدخل فى التنافـس الحضارى الموجود .. الاســلام مبعد ومعتقل بين دفتـى القرآن .. ومنذ الـوثبة الأولى فى أيام النبى عليه الصـلاة والسلام وخلفائه الـراشدين تراجـع الاسلام عن المنـافسة وتقوقع فى المسـاجد والصـوامع واختفى فى المراجع وانـزوى فى قلوب القلـة من العارفين .. وضرب الاستعمار حصـاره حول الدول الاسـلامية ودخلها غازيا ومخربـا وناهبا ومشوهـا لكل ماهو اسلامى .. ومـازال التخريب مستمرا .. وآخـر حملاته هى مايفعلـونه الآن بإلباس الأصولية الاسلامية ثـوب الاجرام والارهاب وتقديم عتاة المجرمين على أنهم طـلائع الأصوليين المسلمين .. وفى هـذه الدوامـة من خلط الأوراق وتزييف الحقائق تمد اسرائيل يـدها فجأة لمصالحة عربيـة اسرائيلية ويبدأ عصر السلام العجيب ذو الـوجهين ومن وراء اسرائيل قوة أمـريكية هـائلة تؤيـدها ونظام عـالمى مريب ينفـرد بالسيطرة على العـالم وينشر الفوضى لحسابها .

ولكن فوق اسرائيل وفـوق أمريكا وفوق هذا التخطيـط الماكر هناك رب العالمين الـذى يستدرج الجميع ليوم معلوم ولمواجهـة يدبرها .. وهـو الأمر الوحيد الذى لم يدخلوه فى حسـاباتهم . فـالكومبيوتر عندهـم ليس فيه خانة اسمهـا الله . ولكن هـذا لايعفينـا مـن الاسهـام والعمل ، فنحن أسبـاب الله وأدواته وجنده ..

والخطوة الأولى المطلوبة .. هى ان نفهم .. وأن نكشف هذا التضليل وأن نزيح هـذا الركـام من التعمية .. وان نعـرف مواطىء أقـدامنا .. وان نعيش اسلامنـا كما عاشه الأوائل وكما هـو فى الحقيقة .. قـوة دافعة ، وعمل دائب وكفاح متصل واصلاح للأرض ، ودفع للمظالم وردع للشر ..

ورغم كل شي وحتى لـو كـان احتمال الصـدق وحسن النيـة فى عـرض المصـالحة الأخير لايزيـد على واحد فى الألف ، فعلينـا أن نتمسك بهذا الأمل الضعيف ولانرد اليـد الاسرائيلية التى تقدمـت بالسلام بل نتقـدم فى حذر ونرد المبـادرة الطيبة بأفضل منها ، فنحن مسلمون والسـلام ديننا .. والله لن يخذلنا مادمنا خداما مخلصين لكلمتـه .. ولن نكون البادئين بالغدر أبدا فالاسلام قيم ومبادىء وأخلاق .

●●●

ومن الواضـح أن اسرائيل قـد غيرت من سياستها وانتقلت بمقـدار مائة وثمانين درجة من أقصـى اليســار الى أقصـى اليمين وتنازلت « مـؤقتا » عن اسرائيل الكبرى فى مقــابل اسرائيل كبرى من نـوع آخـر .. اسرائيل كبرى اقتصــاديا .. وبـدلا من عملقـة عسكـرية تمتـد من النيل الى الفـرات وتثير العداوات والمنـازعات .. فإنها تفكـر الآن فى عملقة اقتصــادية تكتسح النيل والفرات وما وراء النيل والفرات وتبيع وتشترى وتوجه وتحكم سوق شرق أوسطيـة تتـاجر مع ٤٧ دولـة اسـلاميـة وتكـون لها بوابـة على السـوق الأسيويـة وبوابة أخـرى على السوق الأوربية وبوابـة ثالثة على افـريقيا .. ومن خلال هذه العملقة الاقتصــادية « وهى مؤهلة لها » تستطيع أن تسقط حكومات وتقيم حكومات وتفعل بالخريطة الجغرافية والخريطة السياسية ماتشاء .

والقنابل النوويـة والصواريخ الذرية والرؤوس الميكـروبية والكيمائية التى خزنتها فى ترسانتها كانت مجرد حماقة ، فهذه الأسلحة أصبحت كلها ممنوعة وعليها محاذير دولية مشددة .

وأين ستلقى بقنابلها الذرية .. ؟؟

وأينما القت بها فى المحيط العـربى حـولها ســوف تـرتـد الاشعــاعــات النووية عليها فتهلكها ، وسوف ينتفض العالم كله محتجا على التلوث الذى

سوف يحدث فى البر والبحـر وفى المزروعات وفى المنتجات الغذائيـة وسوف تتحول فى عين الأسرة العالمية فى لحظة الى عدو الانسانية رقم واحد .

ان فكرة الغزو العسكرى واسرائيل الكبرى التـوراتية .. أصبحت حماقة وطيشا سيـاسيا غير وارد بـالنسبة للقـاموس السيـاسـى العالمى الحالى .. وبالتالى أصبح من الضرورى التنازل عن هذا الحلم أو الكابوس واستبداله بسيطرة من نوع آخر .. ولايوجد أفضل من السيطرة الاقتصادية ..

وروسيـا سقطت بهزيمـة اقتصـاديـة .. والامبراطـوريـة البريطـانيـة تراجعت الى آخر الصف بسبب ضمورها الاقتصادى .

ولا توجد امبراطورية الآن تستطيع ان تقف امام ضربة اقتصـادية .

إذن الهيمنة المطلوبة يمكن أن يحققها الاقتصاد وحده ..

ولكى تصل اسرائيل الى هذه العملقـة الاقتصادية لابـد أن تتصالح مع الكل وتبيـع للكـل وتشـترى للكل وتتسلل الى جميع الأسـواق وتدخـل الى جميع التجمعات .

ومن هنا كان لابد أن تبدأ من البداية وتحل عقدتها مع فلسطين وتعترف بما لم تكن تعترف به وتصافح عرفات وأبـو مازن وأبو نضال وأبو وليد .. الخ ..

وبحســاب الـورقة والقلم فإنها لن تخسر بهذه التنـازلات وانما سـوف تكسب قلوبا جديدة وأراضـى جديدة وأسواقا جديدة وهذا هو المهم .

وقد رأينا رابين يـركب الطائرة عائدا من امريكـا فيقف فى المغرب ليلتقى با لملك الحسن الثانى .. وغدا يذهب الى تونس .

وهناك كلام بعودة العلاقات الـدبلوماسية بين المغرب واسرائيل ثم بين تونس واسرائيل والبقية تأتى .

انها السياسـة الجديدة .. التسلل الى القلوب للدخول الى الجيوب .

والعبقرية الاقتصادية اليهوديـة شىء قديم ومعلوم وهم الذين صنعوا البنوك واخترعوا الفوائد الربوية .

هل سمعت عن بنك واحد يفتح أبوابـه يوم السبت ؟ !! ان أجازة السبت هى الختم اليهودى والتوراتى على جميع البنوك .

نعم .. يـاسـادة .. اننـا مقبلـون على غـزو جـديـد .. اسمـه .. الغـزو الاقتصادى الاسرائيلى .. وأول أهدافه .. منطقتنا العربية .

ولن ينفع هذه المرة كفاح الشعارات ولا استراتيجية الهتافات ولا إسلام اللحى والجلابيب ولا نداءات التعصب . وانما المطلوب فى هـذه المنافسة هو اسلام العلم وتشمير السواعـد ومضاعفة الانتاج وتجويـد الصنعة واتقان قواعد اللعبة وفتح كل القنوات على جميع دول العالم .

ونبدأ من الآن .. فإنهم على الجانب الآخر يهرولون ويسابقون الزمن .

يد تمتد بالسلام
والأخرى على الزناد

إسرائيل التى استطاعت أن تجند ثمانية عشر ألفا من الفلسطينيين ليعملوا كجواسيس وطابور خامس ضد إخوانهم وبلدهم.. ومن قبل ذلك جندت أمريكا وجندت البنتاجون وقامت اخيرا بابتزاز عشرين طائرة للقتال الليلى من أحدث منتجات الترسانة الأمريكية والتكنولوجيا المحظورة وبضع مليارات تحت حساب صفقة السلام التى لم تتم الا كلاما.. ومن قبل ذلك جندت الصحافة العالمية والاعلام ودور النشر والسينما والمسرح للدعاية لقضيتها وما زالت تبتز من المانيا مليارات الماركات تحت حساب التعويضات.

وقد حصلت اسرائيل أخيرا على السوبر كومبيوتر الذى سوف تستطيع به أن تلاحق أى صاروخ يطلق عليها وتدمره.

كل هذا وأكثر فى مقابل كلام ووعود بالسلام لم تف منها بشىء.. فما زالت حتى هذه اللحظة تقتل وتنسف البيوت وتدك بالطائرات سهل البقاع وجنوب لبنان.. لأن هناك جنديا اسرائيليا واحدا قتل فى إحدى المستوطنات.

والعرب على الجانب الآخر الذين مزقتهم الأحقاد والكراهية ، والذين عجزوا عن انشاء سوق عربية مشتركة وعجزوا عن الاتفاق على اى شىء.. تأتى اليوم اسرائيل لتدعوهم لسوق شرق أوسطية مشتركة فيتسابقون اليها لاهثين يسيل لعابهم.

شىء عجيب .. ومشهد أعجب.. الذئب استطاع أخيرا أن يجمع الحملان ويضعهم فى طبق واحد باختيارهم.. وهم يتسابقون الى احتلال اماكنهم على الشواية الاسرائيلية.. حدث كاريكاتيرى من الطراز الأول.

ويقولون إن امريكا تدفع القطيع العربى وتمنّيه بالأحلام والامانى ومع

ذلك لانـرى أى شـواهـد لهذا السـلام المنتظـر.. لاشـىء سـوى تمثيليـة المصافحة التى تمت تحت الأضواء فى واشنطون بين عرفات ورابين.

ويكاد يكون المسلسل برمته نوعا من ألعاب الكمبيوتر.

وإذا كانت اسرائيل تريد السلام حقا فما حـاجتها الى تكديس ترسانتها بالاسلحة والمقـاتلات الليلية والنهارية والمدافع والـدبابات رغم انها تطفح بالقنـابل النوويـة والميكروبيـة والكيماوية التى تغنيهـا عن كل شـىء.. ثم تحرص على دفع الصديق الامـريكى لحظر السـلاح على كل الدول العـربية وملاحقة أى شبهة أسلحة متطورة أو بحوث نووية أى أرض عربية.

وما الضمان عند العـرب من أن يخلف رابين زعيم ليكودى متشـدد مثل شـامير أو قـائد شوفينى مثل ميلـوسوفتش يحلم بـاسرائيل الكبرى ويفعل بالأسلحة الاسرائيليـة المتراكمة مثل مافعل ميلوسـوفيتش بأسلحة الجيش اليـوغسـلافى فى إقامـة دولـة الصرب الكبرى على اكتـاف الجماجم والجثث والـدمـاء الاسـلاميـة.. ورابين من الآن يخطب ويـذيـع فى كل مكـان بأن الأصـوليـة الاسـلاميـة هى العـدو البَـاقى للحضـارة الغـربيـة وخصم الديمقراطية اللـدود الذى يجب الخلاص منه.. وأن اسرائيل هى الدرع التى سوف تقى العالم مـن هذا الوباء الاسلامى.. وان التـاريخ قد وضـع فى عنق اسرائيل اداء هذه الرسالة الكبرى.

انـه يقولها من اليـوم وهـو الـرئيس الاسرائيلى المسالم.. فماذا سـوف يقول الرئيس الليكـودى الذى سوف يأتى بعده حينما يجد أنـه يعوم فوق ترسـانة من اسلحة الدمار الشامل تمكنه من ان يفعل ما يشـاء.

واسرائيل تقول رغما عن كل هذا السـلاح انها خائفة من السـلام.. فماذا نقول نحن العرب العزل الضعاف المشتتين بالاحقاد والكراهية؟!

ان مايحدث أمامنا لا يطمئن أبدا.

وأغنيـة السلام التى يهدهـدون بها مخاوفنا لاتبعث على النـوم بل على الأرق.

وقد قـال رابين منذ أيام.. انى أقـدم عرض السلام بيد، واليـد الأخرى على زناد المسدس..

هل فهمتم.. وهل وصلتكم الرسالة؟.
وهل خطر لكم أن تسألوا رابين لماذا طلب من امريكا ف لقائه الأخير بكلينتون ٢٥٠ مليون دولار لإنشاء شبكة طرق لاعادة نشر قواته ف الأرض المحتلة.. هل نحن بصدد اعادة نشر القوات الاسرائيلية ، أم المبادرة بسحبها؟؟ هل نحن بصددالسلام أم بصدد التأهب لحرب جديدة ؟!
وهل خطر لكم أن تسألوا الرئيس الأمريكى ..
كيف وافق على هذا المطلب؟!
انى اكاد أرى رابين الذى يصافح بيده اليمنى ويده اليسرى على الزناد .اكاد أراه يضع يديه الاثنتين على الزناد .
هل تقرأون الأخبار كما أقرأها .. أم أنكم اخترتم النوم على معسول الكلام وآثرتم خداع النفس والرقص على مزامير السلام التى يعزفها مدرب الثعابين المحترف رابين ؟ ! .
الى متى يستمر الرقص على الحبال .

●●●

والاسلام موضوع ف خانة الإجرام..هكذا اختار له الماكرون تلك الخانة!!
وكانت اسرائيل أكثر تحديدا فقالت : الاسلام الأصولى ..هو العدو الحقيقى للديمقراطية .
وقد جعلت اسرائيل من نفسها الدرع الواقية للعالم من هذا الوباء .. وقال رابين : ان التاريخ وضع ف عنق اسرائيل مهمة التصدى لهذا الوباء الاسلامى وحمل أعباء هذه الرسالةالكبرى .
هل هذا كلام خطب للاستهلاك المحلى ؟ هل هو مزايدة للزعماء الليكوديين خصوم الأمس ..أم هى بالونات حمراء للتصدير والتهديد والتخويف ؟أم هى اجراس إنذار لإيران وباكستان وأفغانستان ولأى دولة شرق أوسطية تجازف برفع أى شعار اسلامى ..
هى كل هذا واكثر.
أقول أكثر لأن اسرائيل تبنى ترسانتها على هذا الاساس .. وامريكا تدعم تلك الترسانة وتعززها بناء على تلك الفرية .

والقول بأن الاسـلام الاصولى هـو الإجرام ، مثل القـول بأن المسيحية الحقة هى مـاتفعله طـائفة الكلـوكلوكس كلان مـن اشعال الحرائق والقتل والتخريب .

هى فرية والـذين يروجون لها يعلمون أنها فريـة ولكنهم يستخدمونها لتبرير حصـارهم لكل صوت اسلامـى وتنكيلهم بأى تحرك اسلامى فى أى مكـان .. وأكثـر الجرائم التى تحدث الآن وراءهـا أيـد أسرائيليـة وأمـوال أمريكية ومخابـرات أجنبية ، وهم ينفقون على هذه الأكذوبـة ليرسخوها فى الأذهان وليبرروا مخططاتهم.

وإلا فكيف يوصف قتل الأبـرياء فى العـدوان الأخير على رئيس الوزراء المصرى بأنـه جهـاد اسلامـى؟! وكيف يعلن مـدبرو هـذا الاجـرام بأنهم جماعـة الجهـاد الاسلامـى.. وأين الجهاد هنـا وأين الاسـلام والجريمـة مـوجهة ضـد الاسلام الأصـولى نفسـه وضد مصر ولايمكن أن يقـوم بها مسلمون.

والتقاط اسرائيل لهذا الفـرية.. والزعم أمـام العالم بأنها الدرع الـواقية التى اختارها القدر لصد هذه البربريـة الاسلامية والقضاء عليها.. هو أكثر من مجرد ثرثـرة ميكروفونات.. بل هو خـط مستقبلى واستراتيجية تساوم بها اسرائيل الحلفاء الغـربيين لتبتز المزيد من المعونات والمزيـد من السلاح والمزيد من التنازلات.. وتضمن بها الفيتو الجاهـز أمام أى عدوان تقوم به.. وتضمن أن أى عقوبـات تقررها الأمم المتحـدة لن تدخل فى البـاب السـابع.. وهـو ماحـدث دائما.. ولا غرابـة بعد ذلك فى أن تكـون هناك أيـد للموسـاد وللمخـابرات الأمـريكية فيما يجرى من تفجيرات وجـرائم باسم الاسـلام وباسم الجهاد الاسـلامى.. والرئيس كلينتون فتح صدره لمقـابلة ودية مع سلمان رشدى الكـاتب الذى سب الاسلام وبصق فى وجـوه المسلمين ، ولو طلب شيخ الازهر مقابلته لما ظفر بدقيقتين اثنتين من هذا الود الصافى .

وهذا يستـدعى منا أن نبنى استراتيجيتنـا على نفس الأساس فنصـافح بيد واليـد الاخرى على الزناد ونخطـو معهم خطوة نحو السـلام ، ونخطو خطـوة موازيـة لـزيـادة كفاءتنـا العسكـريـة ونتعامل بحـذر مع الأيـدى الاجرامية التى تصافحنا كل يوم.

وسوف تكلفنا هذه الاستراتيجية بأكثر ممـا فى خزائننا ولابد أن تفهم الدول العربية هذا الدور فتساعدنا فيه.

والذين يتخوفون من حرب صليبيـة يهودية قادمة لايتكلمون من فراغ فالاحتمال قائم ومشهود ولا يعمى عنه الا الذين يتعـامون عامدين ليوفروا على أنفسهم الأعبـاء الثقيلـة المكلفـة .فـالمنطقـة تسبح فى بحـر من الفتن والمؤامرات والسلاح يتراكم ودائما عند طرف واحد هو اسرائيل.

ولاأظن أن السلام الوهمى سيدوم لأكثر من خمس أو ست سنوات على الأكثر.. ثم مـاتلبث أن تغرى العملقة العسكـرية وأهرامـات العتاد الحربى ومنصات الصواريـخ ومئات الطائرات المقاتلة الجاثمـة على الارض الزعيم المجنـون القادم بأن يشعل الفتيل ليبـدأ العد التنـازلى للنهايـة.. أو يتحقق الحلم الآخر السهل بأن ينهار العرب من داخلهم أكثر فأكثر ويفتقروا اكثر فأكثر ويختلفوا فيما بينهم اكثر فأكثر.

أقول هذا لأقرع أجراس الانذار للنائمين الذين لم يشبعوا نوما.

وأقـول للجـار الاسرائيلى: نعم الاسـلام دين مسـالم وديع متسـامح ، ولكنـه عند الضرورة وحينما يـؤخذ غيلـة وغدرا دين مقـاتل صلب المراس لايضع سلاحه الا منتصرا..

والمسلم يطلب الموت فى ساحـة الحق مثلما تحرصـون انتم على الحياة فى ساحـة الباطل ، والله لم يطلب من المسلم المقـاتل أن يعد العـدة التى تكافىء تجهيز الخصـم ، ولكنـه قال :« وأعـدوا لهم ما استطعتم من قـوة» .. افعلوا اقصى ما تستطيعون.. احشدوا اقصى امكانـاتكم ولو كانت دون امكانات الخصوم ، فالاستطاعة هى الحد الاقصى المطلوب وما يزيد على ذلك يتكفل بـه الله بإمكانـاته التى بـلا حدود.. وذلك لأن بلـوغ اقصى المستطاع هـو برهان الاخلاص.. وهو الشرط المطلوب ليأتى الله لنجدته.

هذا مـا يعلمنا إسلامنـا ودرعنا الحقـه التى لاتبيد وبهذا المنطق انتصر المسلمون وهم قلة على اكبر امبراطوريتين فى الماضـى.. الفرس والروم.

●●●

أعداؤنا يخافون من بعث هذه الروح.. وصحوة هذه العاصفة النائمة..

وهم لا يخافــون من صحــوة البراقع والجلاليـب واللحى ولا يعبأون لبعث الشكليات والمظـاهر.. بل ان بيوت الأزيـاء فى باريس تتنـافس فى هذا المضمار فتبتكر الماكس والطويل والمجرجر والقفطان لتبيع للعرب.

وهم لايخافون من ثـرواتنا البترولية مادامت تتحـول الى قصور وترف ونعـومة ، فهم يلتقـون بهذه الثـروات فى مصايـف الريفيرا ونيس ومـونت كارلو وهم يحصدون هذه الثروات على موائد القمار فى لاس فيجاس.

ولكنهم يخافون من رجال كالـزوابع يحاربون تحت الجليد فى سراييفو ويتصدون للدبابات والمدافع بأسلحة قـديمة وقنابل مولوتوف.. ويخافون من رجل مثل عـزت بيجوفتش .. حليق يـرتدى البـدلة مثلهم ولكنـه صلب كالفـولاذ لايساوم ولا يتراجع ويرابط فى موقعـة تحت وابل من الصواريخ والقـذائف مع عصبة قليلـة من الـرجـال آثروا الموت على الحيـاة واشتروا الأخرة بالدنيا.

هذه هى الروح التى يخافونها ويحسبون لها الف حساب.

وهم يخافون ذلك الكتاب الذى يتحدث بصوت الفطرة فيصل الى قلوب النـاس.. ذلك القـرآن العجيب الـذى يحادثهـم بـالعقل والمنطق والبرهـان ويكلمهم بلغـة العلم وأسلوب العصر ويأتى بـالجديد فى كل قضيـة وفى كل زمان .

ذلك الكتـاب الـذى ينتشر بقـوة ذاتيـة فيـه ويكسب الأتبـاع فى صمت ودونما جهد من دعاة أو متخصصين .

ورغم هـزيمـة المسلمين فى كل مكان ، ورغـم تراجع صـوتهم وخفـوت نفيرهم.. فإن الاسلام يكسب اتباعا جددا كل يوم فى كل مكان.

هذه الظاهرة تحيرهم.

فهل يعود التاريخ الذى يمضى فى دوائر الى تكرار نفسه؟

وهل يرتفع صـوت الاسلام من جديـد رغم اصفرار شجرتـه وتساقط أوراقه.. هذا الهاجس يخيفهم ويريبهم.

والاسلام فى ذاته لا يهمهم.. ولكن الإسلام سوف يأتى ومعه الدنيا والسيادة.. والدنيا همهم والسيادة دينهم وديدنهم ولن يتنازلوا عنها باختيارهم.. وحول هذا يدور الصراع.. فهو صراع حول الأرض والسيادة.. ولكن الأديان والمبادىء فى الخلفية طول الوقت.. وقد دفعوا بإسرائيل وزرعوها فى الارض العربية وسلحوها بالقنابل الذرية والترسانة الكيماوية والميكروبية واداروا الحرب والسلام لحصار هذه الظاهرة الاسلامية وخنقها فى المهد.. وكانت السوق الشرق أوسطية آخر حبائل مكرهم ليضمنوا بقاء المسلمين رهائن للحاجة والتبعية الاقتصادية طول الوقت.. وأمطروا المنطقة بالغزو الثقافى الهابط من السماء ومن الأقمار الفضائية بكل صنوف الفنون المنحلة التى توهن العزم وتشغل الشباب بالمثير والتافه من أمور الجنس.. وحاصروا المنطقة بالمؤامرات ولطخوا وجه الاسلام بالجرائم واشتروا الذمم هنا وهناك لتفجر القنابل وتقتل الأبرياء تحت مسميات اسلامية مشبوهة.. وتحت رحى هذا الصراع الدائر نعيش ونتقبل ما يجرى فى سلبية ونتعامل معه فى استسلام ونقف موقف المتفرج الذى يحاول أن يفهم وقد سيطرت علينا الدهشة والبلادة.

ومازلنا نحاول أن نفهم ونربط الظواهر بعضها ببعض لنكتشف الى اين تسير سفينتنا ، أو الى أين يسار بها.

ولكن الله من ورائهم محيط وهو رب الكون وصاحب السلطان الأوحد الذى يصرف الرياح ويحرك الزوابع ويطلق السيول ويفجر الزلازل ويوقظ الموتى من القبور ويبعث العزائم فى القلوب ويجعل المستحيل سهلا والصعب هينا.. وبالله نؤمن وبه نستعين.

●●●

يتصور حكام الدنيا الأقوياء أنه لا منافس لهم وأن حكمهم نافذ ولا مبدل له ولا مهرب منه ، والحقيقة أن الفرد منا تتجاذبه أكثر من حكومة دون أن يدرى.. بل هو يسبح دون أن يعلم فى عالم من الحكومات الخفية.

الشيطان وذريته حكومة خفية توسوس له بالشر وتورده المهالك ، والملائكة الحافظون حكومة أخرى تسهر عليه وتحفظه وتلهمه بالخير

ومافيا المخدرات والفساد والرشاوى حكومة أخرى تخرب وتدمر كل ما يبنيه العاملون الشرفاء.

والاسكندر الاكبر قتلته بعوضة ، كان جلاده طفيل اسمه الملاريا لاتراه العين.

والفيروسات حكومات عجيبة لاترى حتى بالمجاهر القوية ، وأحد فرسانها قتل عشرين مليون ضحية فى وباء الانفلونزا سنة ١٩١٩ (أكثر من مائة ضعف ما قتلته قنبلة هيروشيما الذرية) وعطسة واحدة اذا فاجأت عجوزا ضعيف العضلات يمكن أن تصيبه بانزلاق فى غضاريف الرقبة يؤدى الى شلل رباعى..

أما مسبب العطسة فقد تكون ذرة تراب أو هباة لا شأن لها ولا وزن تسللت الى خياشيمه فى الوقت الضائع .

والملأ الأعلى وملائكة التصريف وملائكة التدبير وملائكة الانتقام والملائكة الكاتبون حكومة عليا تعمل بأمر الله مالك الملك والملكوت.

وقوم ثمود وقوم صالح وقوم لوط دمرتهم الصيحة.. صيحة ملك الانتقام فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين حتى أدركهم الموت.. وقوم عاد دمرتهم الريح الصرصر العاتية.

وإرادة الله فوق كل الحكومات الظاهرة والخفية العالية والدنية.. لاترد أحكامها ولا تستأنف.. وكل الحكومات تعمل بأذنه وتفويضه.

يقول الملائكة لابراهيم فى القرآن حينما طلب الرحمة لقوم لوط : « يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك.. وإنهم آتيهم عذاب غير مردود » (٧٦ــ هود).

فالله سبحانه وتعالى هو الحكومة الوحيدة التى بلا ضد وبلا ند وبلا مثيل وبلا شبيه وبلا معقب.. وكل حكوماتنا تعمل من باطن حكومته..وكل الجبارين فى الأرض جنوده ينفذون غضبه وسخطه من حيث لا يعلمون ، وكل الرحماء ينفذون رحمته من حيث يظنون أنهم هم الرحماء.

ولو كشف للأنسان الغطاء وعاين الحقيقة لتمزق رعبا ولتلاشى خوفا ولانكمش وعاد كما بدأ نقطة من ماء مهين.. ولكن الله ستر عنا هذه الغيوب وأسدل عليها حجاب لطفه حتى يتم الابتلاء والامتحان وحتى يخرج

بحكمته ما نكتم فى نفوسنا وحتى يظهر مافينا من أضغان وحتى يتبين لكل منا حقيقته.. وأكثر من هذا شاءت حكمته أن يعطى كلا منا حكما فى دائرته ويهبه حرية فى مجاله ويمد له فى الأجل ويفسح له فى الفعل ليبنى ويعمر أو يقتل ويدمر.

وكل منا حكومة مؤقتة شاء أم ابى.. وكل منا مبتلى.. وكل منا سوف يستدعى فى أوانه وفى ميقاته.

والسعيد منا هو الذى يعلم هذا يقينا.. ويطلب من الله التوفيق الى الخير والسداد فى الأمر.. والناجون هم أهل الخوف والخشية.. الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وتذكروا من هو رب العالمين فى عظمته وجلاله وسطوته.. ومن هم فى دونيتهم وغرورهم.

انحلال
وكوكايين وخلافه

المسلسل الأمريكى .. الجرىء والجميـلات .. هذه السهـرة البريئة التى يتجمع لـرؤيتها الملايين كل ليلة .. ليـس فيها أى صفه مـن صفات البراءة فموكب الجميلات فى هذا المسلسل يتنافس فى الانحلال وفى فعل كل شىء .. وجرعـات الانحلال تقدم الى المشـاهد تباعـا فى عبوات من الزينـة والبهرج ليبتلعها دون مقـاومة وهـو مسترخ فى فراشـه .. والبطء والإمـلال يعملان كمخدر موضعى لينام ضمير المشاهد وهـو يتجرع هذه الوجبة المسائية .. والتكـرار والاعـادة يختمان على القلوب كلما أفـاقت ويـذكـران العين كلما نسيت .

وليس فى المسلسل فن رفيع ولاقيمه غـالية ولامعنى نبيل .. وانما كل ما هنالـك شهوات ومثيرات تأخـذ با لمشاهـدين الى أسفل ، الى بـدروم الغرائز والى حضيض الحواس . والـذى أحبـوا هـذا المسلسل .. تعلقـوا بـه تعلق المدخن بـالسجارة والمدمن بـالصنف، والمنكرات كلهـا والرذائل جميعهـا تجرى فى هذا المسلسل أمام المشـاهد فى بساطه جرى العـادةوالأمر الواقع الذى لاغرابة فيه ولااعتراض عليه فيخـرج المشاهد بمعنى ثابت هو أن هذه هى الحياة المثلى عند الناس الأكابر ، وأن العفة والطهارة والفضيلة والوفاء والاخـلاص كلام عفى عليـه الـزمن ، وأن الأخلاق عـلامـة تخلف وبقايـا رجعيـة والشعـار المستمـر طـوال المسلسل .. انـه لا أخـلاق .. ولا حـرج ولامانـع فى عمل أى شـىء .. عـانق وانكح مادامت تسمح .. لاخيانـة هناك فى أن تخطف زوجة أخيك أو ترى زوجتك فى فراشه .. فهذه أمور طبيعية .

وفى الحلقـات القـادمة سـوف تكتشـف بطـلة المسلسل أنها حـامل من أبيها .. هكذا فى بساطة شديدة .. وماذا فى ذلك ؟ . ألم تذكر التوراة أن بنات

النبى لوط سقين أبيهن خمرا حتى ثمل وضاجعنه لينجبن أبناء كما تفعل كل النساء .. (وهو بعض ماكتبه اليهود بأيديهم وأضافوه الى توراة موسى) وهم مازالوا يكتبون ويزيفون ويفسدون وصاحبنا كاتب المسلسل وضع كومة من القاذورات الخلقية فى كرنفال من الزينة وفى بوتقة من عروض الأزياء الجذابة ومحفل من الجميلات .. وربات البيوت يتابعن فى بلاهة تلك العروض ويبتلعن مافيها .

ومانراه منذ شهور هو جرعة معدة بتفكير وتدبير ومجهزة لإغراق وافساد وتفكيك بنائنا الاجتماعى ونحن نشتريها بأموال دافعى الضرائب وندخلها الى بيوتنا اختيارا ونتجمع كل ليلة لنمضغ سمومها .

والذى يظنون أنهم بتقديم هذا المسلسل سوف يحدون من غلو الموجه الدينية هم على خطأ .. فانهم سوف يستفزونها .. ثم أن الموضوع ليس موضوع الدين ولكنه موضوع التقاليد والاعراف والبناء العائلى والأسرى والاجتماعى .. واذا انهدم البنــــاء الأسرى والاجتماعى انهدم كل شىء وكاتب المسلسل يهدم أشرف ماورثناه .. فى بساطة .. وهو يبتسم .. ثم هو مستمر كل ليلة فى الهدم وهو يبتسم .. ونحن نتفرج ونبتسم فى براءة حيث لابراءة .. ونستمر فى الفرجة لمجرد قتل الوقت .. ونقتل أنفسنا مع قتل وقتنا . والمسلسل مستمر لألف حلقة باقية ولعدة سنوات رغم ماكُتب ونشر من آراء الصفوة والنخبة فى نقده وهو أمر عجيب .. وهو يدل على أن هناك حالة اغماء عام .. وانه لا أحد يقرأ لأحد .. ولا أحد يفكر فى صالح أحد وان الكل ماض فى قتل الوقت .. وقتل نفسه .

ولاشك أن بين الوارد من الانتاج الغربى الوفير هناك الكثير مما هو أفضل .. هناك المسلسلات العلمية وهناك المسلسلات التاريخية .. وهناك المادة الوثائقية .. وهناك انتاجنا الفنى وليس كله رديئا .

ونحن متفقون ولاشك على أهمية وظيفة الترفيه التى يقدمها التليفزيون ولكن بإحياء الوقت وليس بقتل الوقت، ومتفقون على أن الترفيه الأمثل هو الترفيه الذى تحيا به القلوب وليس الترفيه الذى تموت به القلوب .. ومتفقون على أن التليفزيون جهاز خطير يمكن أن يصنع الرأى العام

ويمكن ان يضلله ويمكن أن يرفع أذواق الناس ويمكن أن يهبط بها ولهذا يجب أن يكون مكانه أمام الجماهير وليس خلفها يقودها ولا تقوده هو المنبر الفنى الوحيد الذى لايخضع لجمهور الشباك ولايلتفت الى مطالب الشباك .. ولايصح أن يستمر فيه مسلسل لمجرد أن الجمهور عاوز كده .

ولقد عشنا مسلسلات دلاس وفالكون كريست ونوتس لاندنج والجرىء والجميلة وكلها تعزف على نغمة واحدة هى انحلال المجتمع الأمريكى وغرقه فى مستنقع الجنس والمخدرات والجريمة.. مع تفاوت .. فقد رأينا فى دالاس فنا وحبكة وحرفة بينما كان الجرىء والجميلة أى كلام .. ولكن الكل كان يعزف تنويعات من نفس المقام النغمى الهابط .. ومن حقنا ان نطلب فتح نوافذ اعلامنا العربى على هواء نقى .. نريد أن نتنفس فنونا أخرى نقية .. شبابنا فى حاجة الى قيم ومثل تعينه على المجالدة التى يعيشها .. وقد شبع حتى التخمة من هذا المستنقع الأمريكى العفن .

ان التليفزيون الأمريكى والسينما الأمريكية لم تعد تعبر عن حضارة شابة وانما أصبحت تعبيرا صارخا عن حضارة عجوز تتفسخ وتلفظ انفاسها .

ان نجوم الذروة فى أمريكا الآن هم شوارزنجر بطل العنف المطلق ومادونا بطلة الجنس الفاحش ومايكل جاكسون رمز التخنث والشذوذ والعبث .. وهؤلاء هم النجوم الذين يتربعون على القمة .. فهل يقدم هؤلاء فنا أم يقدمون انحرافا .

وأمريكا هى الآن تكنولوجيا وعضلات ولكن لاشىء آخر ..

وعلينا أن نبحث عن منافذ فنية أخرى نأخذ منها ونتلقى عنها .

اننا جميعا سوف نُسأل عما نضع فى هذه الشاشة الصغيرة التى يتجمع حولها ملايين المشاهدين .

ان الكلمة أمانة .. ولم تعد الصحافة هى الوعاء الأول للكلمة وإنما أصبح الوعاء الأول هو التليفزيون والشاشة الصغيرة التى تطل منها الكلمة مجسمة وملونة ومشخصة وأحيانا معزوفة وملحنة فى نفس الوقت.. ثم بعد مسافة طويلة تأتى الصحافة .. ثم أخيرا الكتاب . إن

التليفزيون الذى تصدر كل وسائل الاعلام وأوشك أن يكون فى مقام نبى هذا العصر .. تحول فى دول كثيرة إلى مسيخ دجال هذا الزمان.. فهو القناة الأولى للسلطة وهو البوق الرسمى للحزب الحاكم ثم هو لمن يدفع أكثر من طلاب الاعلانات وما يبقى من وقته يكون للترفيه وقتل الوقت .. وأحيانا لتضليل المشاهد وحجبه بالكلية عما يجرى حوله .. هكذا كان الحال إلى وقت قريب .. ولكننا دخلنا اليوم فى مرحلة إعلامية جديدة وخطيرة هتكت فيها الحجب وهَجمت محطات البث التليفزيونى من الأطباق والأقمار الصناعية لتقذف بالحقائق فى وجه الجميع ولتقدم ألوانا من الفن أفضل وأرقى وأحيانا أسوأ وأفحش.. وسوف يتطلب هذا التنافس الشرس من الكل إعادة النظر وتجويد البضاعة وعدم إخفاء الحقائق .. ولهذا كانت وقفتنا الطويلة اليوم فى هذا البند .. بند تجويد البضاعة وحسن الانتقاء .. سواء كانت البضاعة محلية أو مستوردة .

وطلب آخر هو ختام البرامج فى الساعة الثانية عشرة على الأكثر وتوفير المال وتوفير الكهرباء وتوفير طاقة المشاهدينليناموا مبكرا وليصحوا مبكرا خاصة فى الريف العزيز الذى يصحو فيه الفلاح مع الشمس ويهرول التلميذ لمدرسته فى الثامنة وينهض العامل لمصنعه فى النجمة .

والفلاح الجديد الذى يسهر الآن مع البرامج للرابعة صباحا وينام إلى الظهر لن يكون فلاحا .

ولن يكون العامل عاملا ولا التلميذ تلميذا وسوف ينام معهم الإنتاج وينام العمل وينام التعليم وتتوقف عجلة الحياة النافعة .

وعشاق السهر عندهم الأطباق والأقمار الصناعية ينتقون منها ما يريدون .

وذوو الأعصاب الخربة الذين لا يواتيهم نوم لا يدخلون فى خطة البرامج العامة وإنما يدخلون فى اختصاص وزارة الصحة .

وفى الماضى كان أبناؤنا وأمهاتنا هم الذين ينشئوننا ويربون فينا عاداتنا وسلوكياتنا .. ولكن فى هذا الزمان العجيب أصبح التليفزيون ووسائل الاعلام هى الأب والأم وهى التى تقوم بتربيتنا وهى التى تغرس

فينا عاداتنا الحسنة والسيئة .. وهى مسئوليات جديدة تقع على القائمين على هذه الأجهزة .

والمهمة شاقة والحمل كبير .. وقلبى مع وزير الاعلام ومع لجان وضع البرامج .

وأحمد الله على أنى لست وزيرا للاعلام .

العدل يا وزير العدل

هناك ٣٥ حكما بالاعدام على تجار مخدرات فى إدراج مكتب وزير العدل وهى أحكام قضائية على جرائم ثابتة ضبطت فيها المخدرات وضبط المجرمون متلبسين .. ومع ذلك لم ينفذ حكم واحد من هذه الأحكام .

وفى عام ١٩٩٢ وحده بلغت قيمة المضبوطات أكثر من ثلاثين مليون جنيه .

وكنا نظن أن عدم تنفيذ الأحكام كان بسبب عدم تصديق رئيس الجمهورية عليها ، ثم علمنا أن تصديق رئيس الجمهورية مثله مثل رأى المفتى .. استشارى .. وأن رئيس الجمهورية إن لم يصدق على الحكم خلال خمسة عشر يوما يعتبر موافقا رغم عدم مصادقته .. ولكن الضرورى بحسب نص القانون هو أن يصدر وزير العدل أمره بالتنفيذ .

والسؤال هو : لماذا لم تتحرك يد وزير العدل لإصدار الأمر بإعدام هؤلاء المجرمين ؟ ولماذا ظلت هذه الأحكام فى إدراج مكتبه طوال هذا الوقت .. بينما تصدر أوامر بسرعة لإعدام أى مجرم قتل فردا أو أفرادا .

وهل تاجر المخدرات الذى يقتل شعبا ويدمر جيلا جريمته أهون من قاتل الفرد فى نظر القانون وفى نظر السيد وزير العدل .

وإذا استقر الأمر على أن عقاب هؤلاء المجرمين الذين يدمرون شبابنا ويحطمون أولادنا بالمخدرات سيكون عقابا شفويا وإعداما صوريا على الورق فقط ثم عدة سنوات فى سجن خمس نجوم .. فأى ردع سوف يردعهم ويردع غيرهم عن المضى فى تخريب بلدنا وهدم مستقبلنا .. ؟ !! ولماذا يخصهم السيد وزير العدل بهذه المعاملة المتميزة .

مجرد سؤال .. ؟ !

وإذا كان السبب هو بطء التقاضى وسلحفائية التنفيذ .. فلماذا لا تنظر هذه القضايا أمام محاكم عسكرية شأنها شأن جرائم الارهاب .. وهل كارثة المخدرات أقل شأنا من كارثة الارهاب .. وهل الحزم فيها غير مطلوب.. وهل قتل مسئول حكومى أخطر من قتل أمة .

أم أن لبارونا ت المخدرات الذين يعملون من وراء الستار .. قدم فوق القانون وفوق المحاسبة .

نريد أن نطمئن أن بلادنا لن تتحول إلى مسرح للمافيا مثل إيطاليا وكولمبيا وبوليفيا والمكسيك ، وأننا لن نرى فى يوم من الأيام أمثال «جوليانو أماتو » رئيس وزراء إيطاليا الذى وقف يشد شعره أمام التليفزيون وهو يهتف : هناك أربعة آلاف وخمسمائة مدير ووزير ثبت أن لهم علاقات بالمافيا .. هذه ليست إيطاليا .. هذه غابة .

لا نريد أن نعيش اليوم الذى يحدث هذا فى مصر .. ولفتة أخرى إلى سيل المخدرات الذى لا ينقطع والذى يدخل مصر من طريق سيناء وآخر حادث تهريب نشرته الأخبار فى صفحتها الأولى كان عن ضبط أربعمائة كيلوجرام من الحشيش فى منطقة رأس سدر .

وكل المخدرات تأتى الآن من سيناء من عند الحبايب الجدد .. بارونات الحشيش والأفيون والكوكايين الذين يزرعون ويصنعون المخدرات ويروجونها تحت الحماية الاسرائيلية وتحت علم الصداقة والوفاق فى كامب ديفيد .

وهذ بعض ضرائب الصداقة الجديدة وبعض نفقات التطبيع .

وعـــن الديوقراطيـــة

أعلن كلينتون تأييده لبوريس يلتسين مباركا الحصار الذى ضربه على البرلمان .. كما فعلت نفس الشىء بريطانيا وفرنسا وبقية دول أوروبا .. الكل وقف مع يلتسين ضد البرلمان مؤيدين ما يفعله من تهديد وحصار النواب المائة المسجونين والمقطوع عنهم الماء والكهرباء والطعام والاتصالات بكل أنواعها ثم حرق البرلمان ومصادرة الصحف .

وعجبت كيف تخلت كل تلك الدول الديمقراطية عن حماسها

للديمقراطية فجأة وأيدت القمع الذى يمارسه يلتسين لنواب برلمانه وصحافة بلده وكيف نسيت مبادئها تماما وانحازت مصالحها .

هذه الميكيافيللية السياسية والحربائية الأخلاقية التى تتلون وتتبدل بلا مبدأ سوى المصلحة الوقتية ، وهذه الذمة المطاطة التى تقول بالشىء وتفعل ضده فى نفس اللحظة .. فهم يعاقبون الصين على ما فعلته فى حصار الثورة الشعبية فى ميدان « تيان من » ويقولون أن هذا سلوك شائن وضد الديمقراطية ثم يباركون فى نفس اللحظة ما يفعهل يلتسين من حصار للبرلمان وتجويع وتهديد لنوابه وإنذاره باقتحام المبنى بقوة السلاح !! أين الديمقراطية التى كانوا يتشدقون بها إذن .. وأين المبدأ ؟!

ونفس الشىء مع حقوق الإنسان .. فهم أسود الغابة ضد العراق وليبيا وسوريا لشبهة مخالفات هنا وهناك لحقوق الإنسان .. وهم عمى صم بكم عن الإجرام والاغتصاب والاعتقال والتعذيب الذى يجرى يوميا لمسلمي البوسنة ، وأكثر من ذلك يسلحون الباغي ويعينونه على بغيه بينما يحظرون السلاح على الضحية .

ونفس الشىء مع أسلحة الدمار الشامل فهى محرمة ومحظورة على كل الدول العربية وهى حلال على إسرائيل ومسموح بتكديسها ومضاعفتها وتنويعها من كل صنف ولون .

وهؤلاء هم أرباب الحقوق الذين يحرسون الحقوق وتضيع معهم الحقوق فى عالم آخر زمن .

والمستقبل

والغزو الثقافى الذى نعيش فيه وسيطرة نماذج الفن الهابط ومسلسلات الترفيه وقتل الوقت التى تغزو أعلامنا والتى تكلمنا عنها ليست وحدها التى تحتل الساحة الفنية .. فهناك غزو آخر يشعر به رواد المعرض والرسامون الشبان والمتقدمون لجوائز البينالى كل عام هو موجة التجريد والتلطيش بالفرشاة والتنقيط والتكعيب والتهبيب والرسم العابث وقاعات العرض التى تمتلىء بالزبالة والحديد الخردة وأكوام الزلط ثم تفوز بالجوائز وشهادات التقدير .. والذى فتح الأبواب لهذه الزبالة

وأشاد بهذا العبث واحتفى بهذا القيء الفنى قد ساهم بلاشك فى إفساد الأذواق وفى انحراف جيل فنى بأسره .. وهذه مسئولية وزارة الثقافة بالدرجة الأولى .

وإذا كان لهذا البلد مستقبل فأول شروط هذا المستقبل هو تصحيح المسار واختيار كوادر جديدة فيها أصالة ومصرية وولاء تاريخى وانتماء وطنى لتحرس البوابات التى يدخل منها هذا الطوفان من الإفساد الفنى والثقافى ، ومصر التى خرج منها النحت الفرعونى والرسوم الجدارية المذهلة والتى نبت منها أمثال مختار ومحمود سعيد وبيكار وصبرى راغب وآدم حنين وعبد العزيز صعب ورخا وصاروخان ومصطفى حسين وصلاح جاهين والكوكبة الرائدة من رواد الرسم والنحت والكاريكاتير هى كنز عزيز لابد من حراسته من هذا الغزو العبثى الذى يريد أن يهيل التراب على تاريخنا وتراثنا .

والتحديات المقبلة التى تنتظرنا لن تكتفى بالغزو الثقافى وإنما هناك الغزو الاقتصادى الاسرائيلى الوشيك الذى ينتظر التطبيع وانهيار السدود والقيود وفتح السوق الشرق أوسطية للأموال الصهيونية والسلع الصهيونية والمشاريع الصهيونية .

والذين يشعرون بالخوف من هذا المستقبل وينظرون فى تشاؤم إلى امكانياتنا المحدودة فى مواجهة هذا الطوفان .. أقول لهم : إن مصر لم تكن قط فى أى يوم من الأيام محدودة الامكانيات فى المواهب .

ومنذ ستين سنة حينما كانت مصر فى تطبيع عادى مع اليهود وكانت أبوابها مفتوحة لأموال الصهاينة ومشروعاتهم .. وكانت فى القاهرة محلات صيدناوى وبنزايون وداود عدس وعمالقة التجار اليهود وبنوكهم .. فى ذلك الوقت نبتت موهبة اسمها طلعت حرب بموهبته الفذة الخلاقة واستطاع أن يكتسح كل هذا الغزو الاقتصادى وأنشأ بنك مصر وشركاته المتعددة وأقام قاعدة اقتصادية جبارة تراجعت أمامها كل تلك الأموال الأجنبية واستطاع المال المصرى والاقتصاد المصرى أن يثبت وجوده .

والمناخ الذى أنبت طلعت حرب فى ذلك الوقت كان نفس المناخ الذى أنبت العقاد وطه حسين توفيق الحكيم وفكرى أباظة والتابعى ومصطفى أمين وباقى العمالقة .

كانت ديمقـراطية وحرية ذلك الـزمان هـى التى فتحت السبيل لكل تلك المواهب .

والتحدى الحقيقى الذى يـواجهنا الآن ليس إسرائيل ولا اليهود .. وإنما المناخ الاجتماعى الفاسد وبقايا الاقتصاد الشمولى الفاشل والقطاع الخاسر وجيش المرتزقـة من ملايين الموظفين الكسالى والحاقدين الـذين يتفننون فى وضع المعوقـات أمام أى خطوة إلى الامام .. ويقفـون بأيد ممدودة لجبـاية الـرشاوى .. هـذه البيروقراطيـة العفنة هى التى تكبل كل حـركة .. وتسـد الطريق أمام أى موهبة .

والكلام عن إصلاح تلك البيروقراطية والـوعود بإزالتها .. مازالت مجرد وعود وشعارات وكلام جرائد .. لا نرى لـه أثرا فى الواقع الثقيل الذى نرزح تحته .

وهذه البيروقراطيـة لا تكتفى بتكبيل أيدى كل موهبة نـاجحة .. ولكنها أيضا تلد كل يوم جيوشا من المنافقين والمتملقين وحملة المباخر والمسبحين والمصفقين وتجار الكـلام وبـاعـة الأكـاذيب ومحترفى الجوائز وحملـة اللافتات .

وسوف تظل ديموقراطيتنا ومنـاخنا فاسدا حتى نتغلب بالفعل (وليس بالقول) على هذه البيرقراطية وعلى هذا النفاق الوراثى الذى دخل فى تكوين الجينات الـوراثية لهذا الجيل السيىء من عبيد القطـاع العام ومن الهاتفين بالديمقراطية .

وكان السـادات رحمه الله يقول لى دائما : لقد تـرك لى عبد الناصر تـركة من الحقد لا أعـرف كيف أتعامل معها ، والتركـة مازالت تتكاثر وتتـوالد .. وهى إحدى أكبر المعوقات أمام مستقبلنا .

ولكنى متفـائل رغم كل شىء وشـديـد الثقـة بـالمستقبل ، فمصر بلـد المواهب والعقـول الفـذة وهى أيضا بلـد الكنـوز ليس فقط كنـوز البترول والحديد والنحاس والمنجنيـز والذهب واليورانيوم ولكن أيضـا كنوز الآثار والسواحل الجميلة ثم كنوز شبابها التى لا تنفد .

وموقع مصر الجغرافى هو أكبر كنوزها .. وتاريخها وحدة كنز حكمة .

ثم إننا عبرنا سنة أولى دبمقراطية .. وغدا ندخل سنة ثانية ديمقراطية.. ونحن على الدرب السليم .

وكل من على الدرب يصل مهما طال طريقه .

النضج يسير بالقلوب

فى القاهـرة اطلق مجنون الـرصاص فقتل ثـلاثة من الاجـانب فى فندق سميراميس ، وفى امـريكا بكـاليفورنيـا فى آخـر الدنيـا اطلق مجنون آخـر الرصاص فقتل سبعة .

وما يفعله العقلاء والكبار أحيانا فى هذه الدنيا .. اكثر من الجنون .

أمريكا تقيم الدنيا وتقعدها لتعيـد الحاكم السابق جون برتراند ارستيد إلى هـايتى ولتخلع الحكـام العسكـريين هنـاك ثم نفـاجأ بأن المخـابـرات الأمـريكية الـــ CIA هى التى كـانت تمول هـؤلاء العسكـريين وتجنـدهم كعملاء ومرشدين وعيون لها فى دولة هايتى .

قوات الأمم المتحـدة تذهب للبوسنة لنجدة المسلمين واسعـافـهم بالمواد الغذائيـة والأدوية ثم نفاجأ بأنها تختطف النســاء البوسنويات فى عـرباتها المصحفة إلى جهـات غير معلومة وتقيـم حفلات أغتصاب صــاخبة تمارس فيهـا الجنس بـالاكـراه وتحت تهديد السـلاح ويشترك فى هـذه الحفـلات الصاخبة جنود من كنـدا ونيوزيلاندا وفرنسا واوكرانيـا ودولة افريقية لم يذكر اسمها لاخضاع هؤلاء النسوة البائسات لشهواتهم .

مـاركوس ودوفـاليه وشـاه ايران وسيـاد برى وصـدام حسين وكلهم عملاء وصنـاعة أمريكيـة مدربـة لاستنزاف ثروات شعـوبهم حتى النخاع لصالح الشركات الاجنبية .. وقد نبـذوا جميعا بعد أداء ادوارهم وانكشاف عمالتهم وقامت الـدول الأجنبية المستفيـدة بتلطيخهم أمام الـرأى العام .. وأعلنت أمريكا حـربا دولية شاملة على رجلهـا صدام حسين .. وقتلت مائة الف من جنـوده وجـوعت شعبـه ولكنهـا ويـا للعجب .. احتفظت بـه حيـا وسليما معـافى لتخيف بـه بقيـة العرب لكى يترامـوا فى احضـانها ويقبلـوا عتباتها .. وإلا ..

سلطنة بـروناى دولـة مسلمة سلطـانها ثروتـه الشخصية ٣٣ مليـار

دولار (أغنى رجل فى العالم) آخر أخباره أنــه اشترى فندق ليونا هيلمس فى أمريكـا ذا الأربعة والخمسين طـابقا .. ومن قبل ذلك اشترى فنـدق بيفرلى هيلز بكاليفورنيا ، ومن قبل ذلك فندق دور تشستر بلندن ، وأمثاله كثيرون فى دول تعيش فـوق خط التخمة .. وإلى جـوارها دول أخـرى تعيش تحت خط الجوع .. ودول اسلامية فى خنـدق الحصار والموت .. ونساء مسلمات تغتصب .. وأطفـال تحرقهم القنـابـل أحيـاء .. ولا ضمائر تتحـرك لتفعل شيئا..

وفى أفغانستـان نقرأ أن حكمتار وربـانى وسياف وشاه مسعـود الذين قـاتلـوا السـوفيت وطـردوهم .. يقتلـون الآن بعضهم بعضـا بـالقنـابل والصواريخ ويدكون بلدهم بأمـوال وعدد وأسلحة من دول أخرى تغريهم بالانتحار .. وتشجعهم على تمزيق الراية الاسلامية التى حاربوا باسمها .

وفى أيـرلنـدا يقـاتل الكـاثـوليك والبروتستـانت بعضهم بعضـا تحت مسميات الاستقلال والحرية .

امـا العلم الـذى تقـدم فى عصرالفضـاء ومشـى على القمـر ورحل الى الكـواكب فإنـه الآن يـرسل اقمارا صناعيـة للبث التليفـزيـونى تـذيع على المشاهدين فى كل مكان افـلام العرى والفحش والعهر والمباشرة الجنسية .. كما يحاول استنساخ الاجنـة فى المعامل وتخليق جيوش من التـوائم لمجرد العبث (فهناك انفجار سكانى فى العالم لا يحتمل المزيد) .

والمصـانع لوثت البحـر والبر والجو وخـرقت ادخنتها غـلاف الاوزون الـواقـى .. والبحـر الابيض المتـوسط تحول الى بحيرة مجارى ومستنقع للصرف الصحى لاكثر من عشرين دولة .

والجيش الـروسى يبيع اسلحتـه وترسـانتـه من وراء ظهـر الحكومـة الروسية .

والمافيا الجديدة تسرق اليورانيوم المخصب وتتاجر فى العلماء .

والحكومة الالمانية تقول انها تخسر مليارى دولار سنويا بسبب جرائم المافيا ، وان عدد المجرمين المعتقلين فى سنة واحد مائة الف .

واكبر تجمع لانتـاج المخدرات وتصنيعهـا نجدة فى تـركيا وافغـانستان

وباكستان وكلهـا دول اسـلامية ، والتجمع الثانى فى دول امريكـا اللاتينية بوليفيـا وكولمبيا والمكسيك واخـواتها ، وأربح تجارتين فى العالم هما تجارة المخدرات وتجارة السلاح واربـاحهما تكفى لاطعام كل الجوعى وكسوة كل العـريانين وتعليم كل الاميين وتشغيل كل جيـوش البطالـة فى العالم لعـدة اجيال .

ولكن ذلك لم يحدث ولن يحدث لأنها ثـروات شريرة تتكاثـر فى محضن الشر ، وكل من ربح مليونا يريـد أن يربح عشرة ، وكل من ربح عشرة ، يريد أن يربح ألفا .. ولا نهاية .. ولا أحد يفكر فى أحد .

وفى بلادنا العربية تغرى الوعود التى تلوح بها اسرائيل لخصوم الأمس .. بأنهار الدولارات والاســواق والمشروعات المشـتركة والمعونـات السيالة .. بنسيان القضية .. فيهرول الكل الى الاعتاب ولا يسأل احد عن الانسحاب .. ويوقع الكل على مجرد الوعود .. ويرتضون بالاشارة والله اعلم بالعبارة .

فما الغـرابـة يا ســادة والمنطق يسـير بـا لمقلـوب فى ان يصــاب البعض بالجنون .

انما العجب كل العجب يا سادة ان يظل الواحد منا محتفظا بعقله .. وان يستطيع تجميع هذه المعلومات وان يضعها مرتبة على الورق .. وان يصرخ باعلى صوته : افيقوا ايا الناس يرحمكم الله .

كيف تفعلون بانفسكم كل هذا .. وأنتم غدا ميتون .. ثم امام الله واقفون ثم لا يبقى لكم بعد هذا الا نياتكم وما تعملون ..

وانا معكـم اننا نعيش فى فوضــى .. وان الجنون هو الـذى يحكم .. وان الشياطين هم الـذين يقودون العالم .. ولكن منذ متى وفى اى زمـان ومكان كانت هناك عدالة وكان هناك سلام وكانت الدنيا جنة ؟! .

منـذ الاسرة الاولى فى التـاريخ ادم واولاده .. قتل قـابيل هـابيل .. وقتل اليهود انبياءهم .. واباد الامريكان الهنـود الحمر.. واختطفت بريطانيا ١٥ مليــون افـريقى وبـاعتهم فى اسـواق النخـاسـة واستعملتهم فى بنــاء الامبراطورية .. ثم جاء مسلسل الفرس والروم والهكسوس والمغول والتتار

والوندال ومسلسل حروب الابادة حتى القاء القنبلة الذرية على هيروشيما .. ومازال كل هذا حيا فى اذهاننا ..

نعم هنــالك فــارق كبير بين الامس واليــوم .. بـالأمس كــان اقصى مـايستطيع السيف ان يفعل ان يقتل فردا واحـدا وكذلك الحجـر والعصى والسهم ..

اما اليـوم فالقنبلـة الذريـة قتلت مـائة وخمسين الفا فى لحظـة واحدة ، وخلفت الوفا بلا عدد للسرطان والحروق والتشوهات والموت البطىء ..

والقنبلة الهيدروجينية سوف تقتل الملايين بلمسة زرار !

وبـالامس كان الخبر يـركب حمارا ويصلنـا بعـد شـهور .. وكـانت كل اطراف الارض معزولة بعضها عن البعض كالجزر العائمة ..

واليوم تصلنا الاخبـار بأسرع من البرق ويتصل العالم كله عبر الاقمار ويتحادث ويتشاجر ويشـاهد بعضه بعضا على الشاشات التليفـزيونية فى لحظتها .. والظلم يهاجمنا فى عدة اماكن فى وقت واحد .

نعم .. الظلم كان فى حـالة عـرض مستمر منـذ ادم .. ولكن العرض الآن درامى وفاجع ولحظى ومكثف ويـاتينا من كل اطراف الدنيـا فى ذات الوقت وينقض على حـواسنا واعصـابنا ويفجـر دمـاغنا فـلا يملك الواحـد الا ان يصرخ مستنجداً : رحمتك يارب ..

نعم لم تعـد هناك وقايـة من الجنون ولا حـافظ من الانهيـار سوى ان يلوذ الـواحد منا بـالله وان يتشبث بايمانه .. فلم يـرد الله بالدنيـا ان تكون سلاما أو راحة أو جنه ، بل وصفها بـالدونية وقال انها دنيا وأنها دار بلاء ودار عبـور ومرور وتـرنزيت وانــه لا قـرار فيها ولا سكن .. وانمـا القـرار عنده.. والقرآن كله اوامر بالصبر على بلاء الدنيا عبر سبعمئة واحدى عشرة صفحة هى مجموع صفحاته ..

وجاء الامر المباشر بـالصبر اكثر من مائة مرة .. وليس مجرد الصبر بل الصبر الجميل ..

« فاصبر صبرا جميلا » (٥ ـ المعارج) .

« واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا » (١٠ ـ المزمل) .

« قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل» (١٨ ـ يوسف)

والصبر لا يكـون جميـلا إذا اتصف بالقبـول والتفهم وسعـة الصـدر وادراك الحكمة واليقين بالآخرة وتوقع المثوبة .

ولايكـون الصـبر جميـلا إلا بمعرفـة الله وحسن الظن بـه .. ولا يكـون جميلا إلا إذا اقترن بالشكر « صبار شكور » ..

والصبر الجميل شهـادة اسـلام حقيقى لمن يقـدر عليه ، وطـوق نجـاة وحيد فى عصر مضطرب يتزلزل فيه كل شىء ..

ولا أقـول لكل شـاب : لا تفـارق مسدسك .. بـل أقول لـه : لا تفـارق سجادة صـلاتك .. فـالصبر والصلاة هما حـارساك ولا غير ، إذا أردت أن تحتفظ بعقلك فى مهب الريح ..

وأقول لـه : انى نقبت فى كتب الطب والحكمة والفلسفة فلم أجد عـلاجا غير ذلك للحفاظ على سلامة العقل وسكينـة النفس فى زمان أصبحت الحياة فيه ملاحة صعبة فى بحار بلا شطآن .

ولعله المخاض الذى يؤذن بميلاد جديد والظلام الذى يبشر بالفجر .

ولعل الله وقد كلفنا المزيد من الصبر قد أراد لنا المزيد من الأجر ..

ولنحسن الظن بالله فهذا خلق المؤمن ..

وهذا أفضل الزاد للمقبل على سفر طويل ..

وكلنا هذا المسافر ..

أما الـذين فقدوا الايمان وفقـدوا الصبر فليس أمامهم إلا بـاب البار فى الدنيا وباب النار فى الآخر وراحة الجنون فى الترانزيت .

وكان الله فى العون ..

رجل بألف مليون رجل

اسمـه جورج سـوروس ـــ يهودى مجرى ـــ ملياردير تبرع بخمسين مليون دولار لمنكـوبى البوسنـة والهرسك وخصص هذا المبلغ لبنـاء محطة مياه تحت الأرض فى سراييفـو لا تستطيع الصواريخ والقنابل أن تدمـرها ، واستجلب لها المهنـدسين والخبراء والمعدات وسـوف تبـدأ هذه المحطـة فى العمل خـلال أيام وسـوف تقـوم بشفط المياه العـذبـة من النهر ثم تقـوم بعمليات التنقية والترشيح والفلترة ثم تضخ الميـاه النقية الى البيوت وبذلك

تضمن لثلاثمائة وخمسين ألـف مواطن بوسنى مسلـم محاصر حصته من المياه الصالحة للشرب .

هذا العمل الخير والنبيل قام به رجل واحد وأنفق عليه من ماله الخاص ، وكـان مجموع مـاتبرع بـه مساويـا لما تبرعت بـه ٤٧ دولـة اسلاميـة فى مؤتمرها الأخير « خمسين مليون دولار من ألف مليون مسلم !! »

وقد رأيت هذه المحطة على شاشات الـ .C.N.N منذ أيام .

وسـألوا الـرجل عن الدافع الـذى حدا به الى هـذا العمل فقال : إننى أرى المجازر والمذابح التى فعلها هتلر باليهود تتكرر أمامى مع المسلمين ، وهذا أمر لايجوز أن نسمح به أبدا .. هذا أمر شـائن ..

وظهر فى صوته التأثر الشديد وهو يقول بنبرة متهدجة :

وللأسـف يوشك المعتدى أن يفوز بثمرة عدوانه والعالم ساكت يتفرج !

واحترمت الـرجل ودعوت لـه من قلبى أن يتقبل الله عمله وأن يجعلـه فى ميزان حسناته يوم القيامة ..

وربنا الكريم لاتضيع عنده المروءات ولا يضيع الاحسـان .

ولم يذم الله عامة اليهود إلا واستثنى منهم القليل من أهل الصـلاح .

« فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم » (٢٤٦ ـ البقرة)

ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم » (١٣ ـ المائدة)

« إلا الذين آمنوا وعملوا الصـالحات وقليل ماهم » (٢٤ ـ ص)

وهؤلاء القليل هم الأعمدة والأركان التى يحفظ بها الله الأرض

وتمنيت أن يكون من أغنيـائنا ـ وهم كثير ـ من يفعل مثلـه مع منكوبى البوسنة .

وليس الكـرم وحده هـو الذى أثـار اعجـابى وإنما حسن توظيف هـذا الكرم ومتابعته للمال حتى أثمر عملا ثمينا وخدمة ثمينة هى انقاذ ثلاثمائة وخمسـين ألف محاصر من الموت عطشا فى صقيع لايرحم ..

نعم .. مازال فى الدنيا خير ..

ومازالت جديرة بأن نحياها ..

●●●

أعجـب القضـايا

لا حديث فى الشـارع الأمريكى اليوم إلا عـن هذه الزوجـة العجيبة التى اغتصبها زوجها فى الفراش « هكذا تقـول » فانتظرت وهى تطحن أضراسـها من الغيظ حتى نـام ثم أتت بسكين المطبخ وقطعـت عضـوه الـذكـرى .. واستيقظ الـزوج البـائس على المصيبة وهـو غـارق فى دمـه وذهب يصرخ للبـوليس ورفع قضيـة اعتـداء جنائى على زوجتـه .. وتصـدرت القضيـة الصفحات الأولى فى جميع الصحف .

وفى حوار على شاشـة الـ C.N.N مع جمع من الزوجـات الأمريكيات قالت احـداهن : برافـو هذه الزوجـة قامت بعمل بطـولى وانتقمت لجنسنا الضعيف المهضوم .. هذا عمل تاريخى وقضية تاريخية .

ولاشك أن الكثير من الأزواج فى أمـريكـا يـرتجفـون الآن رعبـا من احتمالات المستقبل ، والكثير من الشباب سـوف يفكرون أكثـر من مرة قبل الاقدام على الزواج خوفا من أن تتكرر أمثال هذه البطولات ..

أما القضيـة الثانية فهى فضيحـة مدويـة اهتز لها المجتمع الكنسى فى أمريكا وأوربـا وأصبحت حديث الشـارع الأمريكى والصحـف الأمريكية .. فقد تقدم الشاب ستيفـان كوك الى النيابة يتهم كردينال شيكـاجو جوزيف برنـاردين بالاعتداء عليه جنسيـا .. وقال وهو يبكى أمـام الـC. N. N إن الكـردينال غمـره بالهدايـا وانه لم يستطع أن يقـاوم رغبات رجل فى مقـام دينى عظيم وفى هيبة الكردينال .. وقد أنكـر الكردينال هذه الاتهامات جملة وتفصيلا وقال : انها تخيلات فى ذهن مخبول ..

اما ستيفـان كوك وهـو طالب فى جـامعة سنستـاتى فيصر على اتهامه ويقــول : ان أقل مـــايجب على رجل ديـن فى أعلى منصب فى الكنيسـة الكاثوليكية مثل الكردينال هو أن يعترف بالحقيقة ويستقيل ويترك منصب الكردينالية لمن يستحقه ..

وستظل أمريكا بلد العجائب !!

الإسلام الغائب

أحيانـا لا أصدق وأنـا أرى ما يحدث فى البـوسنة أن هنـاك ألف مليون مسلم فى العالم .

وأقـول لنفسى أين هم ؟! ولا أحلم بأن أراهم جيـوشـا زاحفـة .. وإنما فقط أريد أن أسمع صوتهم .

إن الإسلام لاشـك غائب عن المعـركة .. إنه يحارب فى الضمائر ويقـاتل على الورق ويكـافح فى ميكروفونات المسـاجد ولكن لا وجود له خـارج هذه الحدود .

الإسلام كأخلاقيـات وقيم ومبادىء ومثل وإنسانيات رفيعـة وشهامة وصدق وأمانة وشجاعة لا وجود لـه فى الساحة .. وإن وجد فوجود شاحب خافت النبرة .

والـدول الإسـلاميـة بعضـهـا محتل وبعضـهـا تـابع وبعضـهـا مـدين وبعضـهـا عميل وبعضـهـا منكفىء على نفسـه وبعضـهـا يضرب بعضـهـا ، وبعضـها غارق إلى أذنيه فى مشاكله وفقره وتخلفه .

والجماعات التى تحمل السلاح وتقـول إنها جماعات الجهاد الإسلامى وطـلائع الفتح والناجـون من النـار والتكفير والهجرة . كلهـا لا تنتمى إلى الإسلام وإنما تعمل لحسـاب أعدائه وتفجر القنـابل عشوائيـا فى الشوارع لتدمر بلادها وتلطخ الراية التى تحملهـا لحساب الذين يدفعون هنا وهناك من بلاد عربية وأجنبية ولتشبع أحقادا لا تشبع .

الإسـلام غـائب عن المعركة .. ولا وجـود له إلا فى عيون دامعـة ونفوس مكبوته وقلوب كظيمة .. ومشـاعر فواره لا تجد لها مخرجا سوى كلمات ..

لا إلــه إلا الله .. لا حول ولا قــوة إلا بالله .. حسبنــا الله ونعم الوكيل .. إنــا لله وإنا إليه راجعون .

ولكن هذا الوجــود الغائب رغم عجزه هو القنبلة الموقوتــة التى يخشاها الغرب لأنه يعلم بمقـدار هذه الطاقة المحبوســة فى ذلك الكيان الذرى الهش الذى اسمه الدول الإسلامية وفى امكانية تفجر هذه الطاقة .

وإسرائيل موضوعة فى فم هذا البركان لتسكت صوته إلى الأبد .

فهل تستطيع .. ؟؟ هل تستطيع بكل ما أوتيت من سند ومدد .. ؟؟

إن فكرة السلام وفكرة ترويض الثـورة الفلسطينية وفكرة فتح الشـهية للدولارات والمعونات بالتلـويح بالسوق الشرق أوسطية لضخ أنهار المال فى فـوهة البركـان لملء البطون بـالـدنيا ولـذائذها واسكـات الضمائر وشغل النفوس الهائجة بـالتافة من القول .. كلها أفكـار ذكية وهى فى دور التنفيذ حاليا .

ومن لا تسكته تلك الـرشاوى يمكن أن تسكته طلقة مســدس تشيعه إلى مقره الأخير وهــو ما يجرى بـالفعل .. ومن لا ينفع فيه هــذا ولا ذاك سوف تتكفل به الأقمار الفضائية بسهرات حمراء ممتعة إلى الفجر .

كل هذا عظيم وعبقرى وشديد الـذكاء ولكن الحسابات هذه المرة سوف تخطىء لأنها لا تتعـامل مع آلات وأنظمــة ميكـانيكـة وإنما مع بشر .. مع شـىء اسمه الإنسـان .. والإنسان لغـز لا يمكن التنبؤ بشكل قطعى بالحركة التى يمكن أن يقــوم بها فجأة .. لأن نيـاته غـير داخلـة فى الحسـاب .. وهى غيب لا ينفع فيه الكـومبيوتر .. ثــم إن وراء الإنسـان غيبا أعمق وأخطـر هو الذات الإلهية التى خلقته وهى من عالم الإبهام الـذى لا قبل لأحد بالإحاطة به .

والمخططون الكبـار للفتن قـد أراحوا أنفســهم من هـذه المتـاهات فهم لا يـؤمنون بها وهم شـديـدو الثقة بحســاباتهم المادية وكـومبيوتـراتهم (السوبر كومبيوتر يحسب ٤٥٠ مليون عملية حسابية فى أقل من ثانية) .. هكـذا يقـولـون .. وهــم فرحـون بما عنـدهـم من العلم .. ومن هنـا ســوف يؤخذون .

وهذه هى الثغرة التى لم يحسبوا حسابها .
يقول ربنا فى كتابه :
فلما نسوا ماذ كروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٤ ـ ٤٥ الأنعام) .
هذه قصص الأقوام الغابرة وكيف قطع الله دابرها.
ولكن التاريخ يكرر نفسه فى سنن مطردة .
(فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) (٤٣ ـ فاطر)
وما حدث فى الماضى سوف يتكرر
(وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)(٨ ـ الإسراء) .
وما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع
وما بلغ القمر ذروة اكتماله إلى عاد هلالا فى المحاق .
وما بلغت دولة قمتها إلا بدأ العد التنازلى للسقوط لهاويتها .
وما بلغ الإنسان غاية شبابه ونضجه ورجولته إلا ونادته شيخوخته
وفى كل حضاره بشرية جرثومة فنائها .. وهى تنخر فيها ببطء حتى تأتى على بنيانها كله فيتهاوى على الأرض دفعة واحدة .
والسعداء الذين سيمتد بهم العمر إلى السنوات العشر القادمة سوف يشهدون تغير الأحوال وتبدل الأقدار ،وسوف يرون ما لا يخطر لهم على بال ، وسوف يفهمون كلمات الله المحكمات فى قرآنه العظيم :
(وتلك الأيام نداولها بين الناس)
ومن يضحك أخيرا سوف يضحك كثيرا .
والصبر طيب .

السلام العجيب

وهو سلام عجيب فعلا ، فعدد القتلى من الفلسطينيين الذى تحصده رشاشات المستوطنين اليهود فى غزة والضفة أضعاف العدد الذى كنا نسمع عنه أيام حرب الانتفاضة .. والمعتدون هذه المرة هم اليهود والبادئون بالشر هم الجانب الإسرائيلى .. فأى سلام هذا .. وإذا استمر

الجانب الفلسطينى يـرد من منطق الجانب الأضعف ، وإذا ظلت الصـلابـة الفلسطينية تتهاوى تحت الوعود الوهمية بالسلام .. فإن النتيجة لن تكون إلا مزيدا من التراجع حتى يصبح ظهر الجميع إلى الجدار .

وإذا كان الفلسطينى يريد السلام بالفعل فليعلم تماما أنه لن يأخذه إلا بالقوة وإلا بأن يرد الصـاع صاعين وليس بأن يتخاذل ويتمسح بأنصاف الحلول وبأوهام الانسحاب .

إن الصرب فى البوسنة يتفاوضون على السلام ويضربون .. والمسلمون يجلسون على مائدة السلام ويلتحمون بـالسلاح الأبيض فى الميدان .. وهذا منطق العصر الظـالم الدمـوى الـذى نعيش فيه .. لا كسب لشبر واحـد إلا بالدم حتى على موائد المفاوضات .

فلينفض يـاسر عـرفـات ذلك الفراش الـوثير اللين الـذى استسلم فيـه لأحلامــه وليعاود الكفاح من مـوقف القوة لا من موقف التخـاذل والملاينة واستجداء المعونـات من هنا وهناك . وإذا كان يـريد الصلح فلن يجده إلا غلابا وبالسلاح الأبيض .. ولينظر إلى مقـاتلى « حماس » باعتبارهم جناحه الآخر الذى يفاوض به وليس خصومه الذين يطاردهم لتصفيتهم كما يريد أحبابه الجدد .

إن العالم الـذى نعيش فيه هو مع التفـاؤل الشديـد ساحة للمصـارعة الحرة .. أمريكـا واليابان والصـين مصارعـون من الوزن الثقيل .. وإنجلترا وألمانيا ودول أوروبـا من الوزن المتوسط .. وكـوريا وسنغافورة وتـايوان وهونج كونج من الوزن الخفيف .. والأفارقة من وزن الذبابة .

وأحيـانا تـدوخ الذبـابة الفيل .. ومن أنـواع الذبـاب ذبابـة تسى تسى القاتلة .

ولا مانع من الأحلام أحيانا ..

والغائب لن يطول غيابه ..

ولا شىء كثير على الله ..

السياسة بلا أخلاق

تفاصيل التحقيق مع وزارة تاتشر فى صفقات السلاح التى كانت تبيعها لصدام حسين حتى أواخر عام ١٩٩٠ كشفت النقاب عن أسرار كثيرة مثيرة

وراء كواليس السياسة البريطانية .. والكلام لإذاعة B. B. C لندن وليس من عندنا .

والحقائق تقول إنه فى أشد أوقات حظر السلاح على الأطراف المتقاتلة فى الحرب العراقية الإيرانية كانت بريطانيا تخرق هذا الحظر (مع أنها هى التى أصدرت هذا الحظر وشددت عليه) وكانت تورد السلاح لصدام حسين عبر أكثر من شركة من شركات السلاح البريطانية .

وحينما كانت مسز تاتشر تشتم صدام حسين على شاشات التليفزيون تلك الشتائم المقذعة التى كنا نسمعها فإنها كانت تمده بالأسلحة الثقيلة عن طريق الأردن .. وحينما كانت تتحدث فى فزع عن المدفع العملاق الذى يصنعه كانت فى نفس اللحظة تمده بالمواسير الصلب التى يصنع بها مدفعه.. وكان صدام قد اكتسح الكويت بجيشه .

وحينما سئل الوزير المسئول عن هذه الفزورة قال : إن المصالح شىء والتصريحات شىء آخر .. وفى عالم السياسة ليس كل ما يفعل يقال .. ومصلحة بريطانيا كانت فى إمداد صدام حسين بالسلاح لأسباب اقتصادية حتى لا تذهب دولاراته إلى شركات أخرى منافسة ، ولأسباب أخرى هى المصالح السياسية البريطانية فى المدى البعيد ..انتهى كلام الـ B. B. C

وأظن أننا جميعا نعلم الآن تلك المصالح السياسية فى المدى البعيد .. وهى أن يطمئن صدام أكثر وأكثر إلى الصداقة البريطانية وإلى مدد السلاح الذى لن يتوقف (رغم الشتائم والاتهامات على شاشات التليفزيون) فيتوغل أكثر وأكثر فى عدوانه ويأخذه الغرور بأنه مسنود وأن عنده جواز مرور إلى أرض الكويت وبذلك يقع فى الفخ المرسوم حيث كان الحلفاء يجهزون المذبحة النهائية لجيشه ومعركة التدمير الشامل لأكوام العتاد الحربى الذى باعوه له بالأمس ، وهى مصلحة أخرى فى المدى البعيد فسوف تعمل المصانع البريطانية والأمريكية من جديد لتعويض ما تم تدميره وكله مكسب مادام العربى ذو الدشداشة هو الذى سيدفع ثمن التدمير وثمن الإصلاح وثمن السلام الجديد المطلوب .

وهكذا نـامت الأخلاق وأخـذ الشرف أجازه وأملـت المصلحة ضروراتها وتكلمت مسـز تاتشر فى التليفـزيون بلغـة وتكلمت بينهـا وبين بوش بلغـة أخرى .. وصرحـت للصحف بتصريحات وباشرت فى غـرفة القيـادة السرية أوامر أخرى تماما غير تلك التصريحات

وأظن أن مـا أذاعته الـــ B. B. C هـو أبلغ رد على الذين أنكـروا الجانب التآمـرى فى الحرب العراقيـة الكويتيـة ، ومن قبل ذلك فى الحرب العـراقية الإيرانية .

ويبدو أنها سنة قديمة فى البرتوكول السياسى للدول الكبرى أن تشـترى المجرمين وتصنعهم وتربيهم ليكـونوا حكاما أشـاوس أمثال صدام حسـين وسيـاد بـرى ومـوبوتـو ومـاركـوس ودوفـاليـه وليكونـوا عمـلاءهـا فى مستعمراتها التى رحلت عنهـا واستقلت اسميا وظاهريـا . وليكونوا أدواتها لبقاء مصـالحها وكلمتها ونفوذها إلى الأبد .

وهكذا السياسة دائما بلا أخلاق .

وفى النكتـة القديمـة التى قالها تشرشل تلخيص ذكى لكل هـذا .. حينما كان يتجول فى المقابر ورأى شاهد مقبرة من الـرخام مكتوبا عليه : هنا يرقد السياسـى العظيم والرجل الصـادق الأمين فلان .. فقال تشرشـل فى دهشة :هذه أول مرة أرى فيها اثنين يرقدان فى تابوت واحد ..

فقـد كـان من المستحيل فى نظـر تشرشل أن يكـون السيـاسـى العظيم صادقا .. ولابد أن يكون هناك رجل آخر فى التابوت بجواره .

وتشرشل أدرى منا ولاشك بأمور السياسة .

ولا أعمم فلكل قاعدة شواذ والعلم عند الله .

على عزت بيجوفتش

فى كل يـوم يكسب المقـاتل العنيـد على عزت بيجـوفتش احترامى أكثـر فأكثر .. فنحن أمام طراز من القادة العظـام من أمثـــال « هوشى منـه » لا يضع سلاحه أمام الجبروت ولا ينحنى أمام التهديد .

رجل عنيـد صلب لا يتراجع ولا يضعف ولا يتردد ولا يهادن ولا يـداهن رغم أن الموت يحاصره والصواريخ تتساقط عليه والقنابل تتفجر حوله .

إن وحشية الصرب التى بلغت أقصى مداها لم تترك لأحد فى البوسنة اختيارا .. فمادام الموت قادما فلنقابله بشرف .

إن قلة الزاد وضعف العتاد ليستا ذريعة لقبول الذل .

إن كل العائدين من البوسنة يقولون إن القسوة والنذالة الصربية لم تقتل الإسلام هناك وإنما بعثته من مرقده عاتيا عصيا .

وأمام اليأس والموت وعدم النصرة من الدول الإسلامية اتجهت كل القلوب إلى الله وحده ..

كلهم يقولون : الله وحده هو القادر على أن ينجدنا .. وسوف يجعل لنا مخرجا .

وفى إيمان عجيب يركعون ويسجدون ويصلون ويحملون المصاحف .

وفى إيمان عجيب يقبلون فى هدوء كل ما تأتى به المقادير .. ولا يخشون انكسارا ، ولا يأبهون بهزيمة .. ويقولون نحن نقاتل لأن قتال الشر واجب وما يجرى علينا هو أمر الله ونحن نقبله .

وفى ساعات الفراغ يتعلمون العربية ويحفظون القرآن .

وفى وسط الموت والدمار تستمر الحياة فى سراييفو .. الجامعات مفتوحة والطلبة يذهبون لتلقى العلم .. والموظفون يذهبون إلى مكاتبهم بانتظام رغم إنهم لا يتقاضون رواتبهم .. والأطفال يلعبون الكرة فى الملاعب .. ويسقط القتلى ويدفنون .. والأحياء يأكلون حشيش الأرض إذا لم يجدوا ما يأكلونه .. وتمضى الحياة فى إصرار وكأن لا شىء حدث .

وفى كتاب يحيى غانم المراسل الحربى للأهرام .. « كنت هناك » يقرأ القارىء صورة مشرفة لشعب بطل سوف يظل صامدا مقاتلا لعشرين شتاء قادم .

وبين الصفحات المشتعلة .. يشعر القارىء أن الإسلام الغائب سوف يعود .. وسوف يملأ الدنيا نورا من جديد.

هذا الوزير الفرنسى

وزير الدفاع الفرنسى يجتمع بمسئولين عسكريين فى اسبانيا وايطاليا ويقول انه بصدد تكوين جيش طوارىء من الدول الثلاث لمواجهة

الاصوليـة الاسـلامية .. لا يقـول الارهاب الاسلامى أو التطـرف الاسلامى بل يقول الأصـــولية الاسلاميـة التى أصبحت العدو الـذى يهدد الحضارة الاوروبية على حد قوله .

الا يعلم هذا الـوزير أن المملكة العـربية السعـودية هى مهد الاصــولية الاســلامية وان ايـران تحكمهـا اصوليـة اسلاميـة وأن بـاكستان ولـدت كإصولية اســلامية .. وأن أزهر مصر هو قلعة الأصـوليـة الاسلامية ومثلها قلعة الزيتـونة فى تونس والقرويين فى المغـرب والنجف فى العراق .. وأن كل مفكر وكل كاتب اسلامى فى بـلاد المشرق هو اصولى اسلامى بالضرورة .. وكل ساجد وراكع هو مسلم وصولى .

الا يرى السيد الوزير الذى يتكلم من موقع المسئولية ما يفعله التحالف الاوروبى الصربى للمسلمين فى البوسنة وجريمة هذا التحالف الذى يتألف من فرنسـا وانجلترا وروسيا واليونان ورومـانيا والفاتيكان والـذى تدعمه امريكـا بسكوتها .. هـذا التحالف الـذى عجز عن سحق الجيش البـوسنى المسلم الصغير الذى يحارب ببنادق قديمة رغم عدوان مسلح شرس استمر قرابة السنتين يضرب هذه الحفنـة الصغيرة الصامدة من الجو ومن الارض بالصـواريخ والقنابـل .. ولم يكن فى البوسنـة اصوليـة ولا اصوليين وانما بضعة اثـار اسلامية ومكتبـات ومآذن ينطلق منهـا صوت (الله اكبر) على استحياء فى ربـوع اوروبا وكانت هذه هى جـريمتهم الوحيدة التى عـوقبوا عليها .

وارادوا خنق هذا الصوت وهدموا المآذن ودمروا المساجد ولكن الصوت ارتفع دويـه .. وصرخة الله اكبر جلجلت من حنـاجـر ثلاثمائة الاف جنـدى كلما انطلقت رصاصة .. والذين لم يكونوا اصوليين اصبحوا اصوليين ومن كـان لم يصلى اصبح يصلى ومـن كـان لا يعـرف القـرآن اصبح يحتضن المصحف فى صحوه ونومه .

الا يكتفى السيـد الـوزير المسئـول بهذا العـار الاوروبى وهـذا الحلف المخجل الـذى تحـالف بالنـار والـدمار والســلاح والعتاد على شعب اعـزل محاصر تحت الجليـد .. فيعلن عن تكوين قـوات تـدخل سريع من فرنسـا

واسبانيا وايطاليا للتصدى للاصـولية الاسلامية فى جنوب البحر المتوسط (وهو جنوب ممتد بطول مصر وتـونس وليبيا والجزائر والمغرب وعمقا الى السودان والنيجر وتشاد وارتريا والصومال) .

ما هـذه الرائحـة الصليبية اليهوديـة التى تفوح من فم وزيـر فرنسى متحضر ومـا هـذه الكتـائب الجديـدة التى سـوف تتصـدى لـلاصـوليـة الاسلامية ..

وهل استطاعت الصهيونية ان تستنفر غزوة احزاب اخرى يجتمع فيها الاحمر والابيض والاصفر على قتالنا .

لقـد كدت اكـذب اذنى وانـا اسمع اذاعة لنـدن تعلن عن هـذا التشكيل العسكرى الجديد .

ولكن يبدو ان النذر تتجمع فى الافق باسرع مما نظن .. والمواجهة الاولى ستكون فى الجزائر غالبا .

ولكن ماذا فعلت الاصـولية الاسلاميـة المغلوبة على امرهـا والمكسورة الجناح لتخيفهم الى هذه الدرجة .. ؟!

اما اننا اقوياء ومخيفون ولا نعلم من امر قواتنا شيئا .. ؟!

نعم يا سـادة نحن مرضى ضعفاء الاجسـام فقراء مغلوبون على امـرنا ولكن بداخلنا قوة روحية هائلة لا ندرى بها ومارد نائم لا نعلم مدى قوته .

وانظـروا الى المقاتل البـوسنى الـذى يقاتل تحت الجليـد امما اوروبيـة بأسرها وهو لا يملك سوى الله أكبر .. وايمانا لا يقهر .. وبندقية قديمة .

وهذا الايمان هو ما يخيفهم .

هذا الايمان الذى يزلزل الجبال ولا يزول .

نعم يا سادة .. نحن مخيفون فعلا .. وقد صدق حسدهم .

ومن اجل هذا سوف ننتصر رغم جميع الحسابات التى تقول غير ذلك .

وغداً تذهب السكرة
وتأتي الفكرة

انهيار الامبراطورية الروسية فتح الباب لكلاب الصيد (صيدالأسواق) لتتهارش ويسابق بعضها بعضا على اللقمة .. اليابان العملاقة لا تريد أن توارب الباب لدخول السيارات الأمريكية ولتدفق الأرز الأمريكى .. والصين توشك أن تكون العملاق رقم ٢ فى العام القادم وعينها على الأسواق الآسيوية الهائلة، وأمريكا تغازل العملاق الصينى وتهدد وتتوعد بفتح ملف حقوق الانسان ، ثم تبعث الرسل بالتحيات المباركات من كلينتون لاقتسام اللقمة الكبيرة الموجودة .. والسوق الأوربية المتحدة تخشى من الابتلاع الأمريكى وتصر على شروط «الجات » وعلى التنافس مع الأمريكان بمنتجات زراعية مدعومة وبالتالى أرخص سعرا..وأمريكا ترفض وتصر على الرفض .. وألمانيا غارقة فى مشاكل الوحدة الألمانية ونفقاتها وهى تنظرفى رعب الى أجر العامل فى ألمانيا الذى تجاوز الـ ٢٥ دولارا فى الساعة وإلى أجر العامل فى الصين الذى يقل عن دولار وتحسب حساب المنافسة الجديدة الخاسرة مع عالم النمل .. ولكنها تحتشد وتتربص وتنافس فى اللعبة بصناعة متفوقة ومارك ألمانى زهيد الثمن ..ثم عيون الكل على أسواق الشرق الأوسط وخطة الجميع ان تظل دول الشرق الأوسط جميعها عبيد إحسان ورهائن تخلف وعصابات يقتل بعضها البعض وتشترى السلاح من اليمين والشمال ، والخطة المستمرة هى الايقاع بين العرب وايران ، واتهام ايران بأنها وراء كل قنبلة تنفجر فى أى شارع عربى لإشعال حرب إسلامية امتدادا لما حدث باشعالهم لحرب عراقية ـ إيرانية ثم لحرب عراقية ـ كويتية، وتدمير السلاح العربى ثم إعادة توريده، وتدمير المدن ثم إعادة بنائها فى سلسلة من العمليات

وتضاعف المال الأجنبى، وتعالج البطالة عندهم وتسد فائض العجز فى خزائنهم وترمى بنا نحن فى حضيض الديون وفى هاوية الربا والفوائد المركبة والخراب .. ونحن نصادق على كل مايصلنا من وكالات أنبائهم .. فإذا قالت ان العدوان على رئيس وزرائنا تدبير إيرانى قلنا فى ببغائية : نعم هو تدبير ايرانى .. رغم أن كلامهم يناقض تحقيقاتنا التى :تقول : إن التحريض والأموال قادمة من أفغانستان !. وعصابة أفغانستان ـ كماهو معلوم ـــ تمويلها من المخابرات الأمريكية الـ CIA وهى فى قبضة المخابرات الأمريكية منذ أن كانت تعمل لحسابها فى حرب أفغانستان ضد السوفيت .. وأكبر ضبطية للمتفجرات ضبطت فى سيناء منذ أيام وسيناء ممر اسرائيلى وملعب لنشاط الموساد وليست ملعبا لنشاط إيرانى .. وكل المخدرات المهربة تأتينا من سيناء عبر الغردقة الى الصعيد .. والذين يعجبون كيف يكون الموساد الإسرائيلى وراء تمويل الإرهاب الاسلامى .. أقول لهم وأذكرهم : كيف كان هنرى كورييل اليهودى وراء تمويل الشيوعية المصرية .. وكيف كان المال اليهودى وراء كل الفتن فى التاريخ ؟!

ولكننا ننسى كل هذا ونأخذ مايأتينا من وكالاتهم الاخبارية وكأنه نبأ منزل من السماء.

وقد جاء الوقت الذى نفيق فيه ونعلم أننا فى حرب حقيقية وأننا الفريسة التى يطلبها جميع الأكالة .. وان هناك حصارا لكل ماهو اسلامى ..واتهاما لكل ماهو اسلامى .. وفى هذه اللحظة التى تقرأون فيها هذه الكلمات .. هناك ألوف المسلمين المحاصرين يموتون تحت الجليد فى سراييفو وموستار وتوزلا .. ومحظور انقاذهم ، وجميع معابر وطرق الامداد بالمعونات مسدودة وعليها جنود صرب أو جنود كروات .. وأوربا ضالعة فى هذه الإبادة وأمريكا متحالفة بالسكوت .. مع أنها تصرخ كل يوم وتندب وتولول على ضحايا طائرة لوكاربى وعددهم مائتان وخمسون ، وقتلى البوسنة مائتان وخمسون ألفا ، والمطاريد الهائمون منهم ثلاثة ملايين آدمى .. ولو كانوا ثلاثة ملايين كلب لتكتل العالم لإنقاذهم ولخرجت مظاهرات جمعيات الرأفة بالحيوان ولمشت مسيرات جماعات الخضر

والحفـــاظ عـلى الـثروة الـحـيوانية ولطبعـت ملايـين المنشـــورات عن الـ biological diversity وخطر انقـراض نوع الكلاب من الدنيا ومسئولية الجنس البشرى عن الأحباب الكلاب المهددة بالفناء .

ولكن مـواطنو البـوسنـة يتجمدون ويمـوتـون من الصقيع فى صمت عالمى مريب يشى بالتآمر والجريمة الشمولية التى اشترك فيها الجميع .

وسوف يعـاقب الجميع ولن يذهب دم هـؤلاء الضحـايـا هدرا .. فـالذى خلق الكـون وجعل كل ذرة فيه بميـزان وكل مجرة بحساب ومقـدار .. هذا الخالق ـ سبحانـه ـ لايعبث ولايفرط ولاينسى ولايهمل .. والبراءة لن تهدر والاجرام لن يغفر .. والديان لا يموت ..

وهل رأيتم الكترونـا يفلت مـن مـداره دون أن يعطى شحنـة تسـاوى حركته وهو الكترون تافه ؟ !

فكيف يتصـور هؤلاء المجـرمون الغـلاظ انهم سوف يفلتـون .. ونحن نعيش فى عالم يحكمه إله لايضل ولا ينسى ولايخطىء ولايظلم مثقال ذرة .

ومن أجل هـذا فإن علينـا كشهـود عصر ألا نخدع أنفسنـا وألا نـداهن الظلمـــة وألا نسير فى ركـاب الجبـارين وألا نسكت على حق مهضــوم .. فالاقويـاء لن يظلوا أقوياء ، والضعفاء لن يظلواضعفـاء .. والتاريخ يقول : إن هنـاك بحـارا ومحيطـات أصبحـت صحـارى ، وصحـارى تحولت الى وديان خضر .. وأن هناك جبارين بادوا وامبراطوايات فنيت .. وان كل باطل يزول ولا يبقى إلا الحق .

ودبلوماسيـة اتقاء خطر الأشرار وتجنب مصادمة الأقـوياء ربما كانت دبلوماسية سليمة ولكن ليس الى درجة ظلم النفس وخداع الذات ..وكماقلت نحن الفـريسـة التى يطلبها جميع الاكـالـة ..وعلى الأقل لايصح أن نـؤكل ونحن فى غفلة .. لايصح أن نؤكل ونحن نشكر الأكـالة ونبارك الأيدى التى تفترسنا .. وهناك حـد أدنى من الوعى مطلوب لنرسـم لأنفسنا استراتيجية سليمة .. وحد أدنى من الايمان لنحتفظ بثقتنا وشجاعتنـا ومعنوياتنا عالية فى طوفان الأحداث.

وعمر الباطل ساعة والحق حاكم الى قيام الساعة.

وانظروا تحت أرجلكم.. تجدوا تراب خمسة عصور وبقايا خمس مدن وأثار خمس حضارات تحت تراب القاهرة.. حضارة فرعونية وحضارة اغريقية وحضارة فارسية وحضارة رومانية وحضارة إسلامية.. وربما تحت أقدامكم الآن بقايا درع مكسورة كان يلبسها فارس مغوار وبقايا مكحلة كانت تكتحل بها أميرة تمشى فى موكب فخم، وأكاد أسمع أصوات المواكب ونفير الجيوش تحت التراب.. والعرس وضيوفه والقاتل والقتيل والظالم والمظلوم فى حفرة واحدة قد استووا ترابا.

لاشىء فى الدنيا يساوى أن نكذب أو نخون أو نظلم.

لاشىء يدعونا لأن نخاف.. والخائف سوف يتمدد الى جوار الذى يخاف منه بعد قليل، والجبان لن ينجو من الموت والرعديد سوف يسبق الشجاع الى حتفه.. وسوف تتفكك هذه البنايات وتنهار تلك العمائر الجميلة كأنها ديكور من ورق اللعب، وسوف تزول هذه الزخارف كأنها نقش على الماء.. ولن تبقى إلا شواهد قبور.. ثم تغور الشواهد فى التراب أو الرمال.. ثم لايبقى أسم ولا رسم.

والذى يعى هذا جيدا سوف يقبل على الدنيا بجسارة وسوف يخوض أحداثها بقلب من حديد، وسوف يقول الحق لا يخشى فيه لومة لائم، وسوف يبسط يده بالخير لايخاف فقرا، وسوف يواجه البأس لاتزلزله الزلازل ولا تحركه النوازل.

وهؤلاء هم أهل الاحسان الذين يعبدون الله كأنهم يرونه ويتعاملون مع الموت كأنه رفيق حاضر وصاحب مصاحب منذ الميلاد.

فأجتهدوا أن تكونوا من هؤلاء لتدين لكم الدنيا وتسلم لكم الآخرة وقولوا الحق يرحمكم الله.

إخـــلاء طـــرف

قرأت لأكثر من كاتب فى أكثر من صحيفة فى الآونه الاخيرة كلاما كثيرا يستنكرون فيه اتهامنا للغرب ولأمريكا فيما تفعله إسرائيل ومايقترفه الصرب والكروات فى حق مسلمى البوسنة، وما يجرى للعرب ولبترول العرب بعد حرب الخليج..

ويقول هؤلاء الكتاب : إن الغرب برىء وأمريكا بريئة وطاهرة اليدين من جرائم إسرائيل ومن وحشية الصرب ومن عدوان الكروات ومما جرى للعرب وبترولهم وثرواتهم فى حرب الخليج ، وأن الكلام عن تآمر الغرب هو نوع من تبرئة النفس وإخلاء الطرف ولا يوجد دليل واحد على هذا التآمر الغربى، وكل ما فى الأمر أننا مغفلون وجهلة وأعداء لأنفسنا وقد جلبنا على أنفسنا الدمار بهذا الجهل.. وفى النهاية نحاول أن نعلق هزيمتنا وفشلنا على شماعة التآمر الغربى.

وهو كلام جزاف وغير موضوعى.. فما حدث أن كتبت عن الدول الاسلامية وأزماتها الا وبدأت كلامى باتهام النفس وبالاعتراف بأن المسلمين متخلفون وجهله وكسالى وسلبيون وأعداء أنفسهم . ولكن الوقوف بالاتهام عند هذا الحد من إهانة النفس وتبرئة ذمة الآخرين مما يجرى على الساحة هو جريمة ، والأدلة التى يطلبها أصحابنا لإدانة الغرب واتهام أمريكا ظاهرة للعيان وهى موثقة تاريخيا ولا تحتاج الى مستندات..

ألم تعط انجلترا وعد بلفور لليهود ومكنت لهم من وضع أقدامهم فى فلسطين.

ألم تسمح أمريكا بالترسانة العسكرية النووية والكيميائية والميكروبية لإسرائيل وحظرتها على العرب وطاردت الحكومات بالتفتيش فى كل شبر عن أى شبهة فى سلاح نووى أو كيميائى أو جرثومى؟! ألم تساندها بكل شىء من الرغيف الى الصاروخ الى التكنولوجيا المحظورة الى السوبر كومبيوتر الى الفيتو المستمر الذى يحيمها من أى عقاب.

وحتى سنة ١٩٩٠ من كان يمد صدام حسين بالسلاح حتى طفحت مخازنه بالأسلحة من كل لون؟ ، ومن أعطاه الإذن ليبدأ بالعدوان على ايران ثم يمده بالسلاح ويستمر فى إمداده ثمانى سنوات فى حرب استنزاف اسلامية ـ اسلامية متصلة.. من ياسادة.. الغرب.. أم الشرق؟!

ولقاء السفيرة الامريكية ابريل جلاسبى بصدام.. ومسودة الحديث الذى دار بين الاثنين والذى أعطى الضوء الأخضر لصدام وشجعه على أن يمد عدوانه الى الكويت.. وهى المسودة التى أشار اليها روس بيرو وطالب

الـرئيس بوش بإطلاع الشعب الأمريكى عليها.. هذه المسودة التى إختفت.. واختفت معها ابريل جلاسبى من السلك الوظيفى كله.

وفى البـوسنـة والهرسك من الـذى أصدر الأوامـر بحظـر السـلاح على مسلمي البوسنـة ؟!.. أليست هى الأمم المتحدة وقـالت ساعتهـا إن الحظر عـام على الصرب والمسلمين . قـالت هـذا وهى تعلم أن تحت يـد الجيش الصربى كل ترسـانة الجيش اليوجوسـلاقى الذى جهزه تيتو بـالإضافة الى مصانع الصلب والدبابات والسـلاح.. ثم لاشىء تماما على الجانب المسلم سوى بنادق قديمة..

وكيف يمكن تسمية مـايفعلـه الصرب هنـاك حـربـا عـرقيـة .. وهم يحرصون على تدمير كل مسجد ونسف كل مئـذنة وتدمير أى مكتبة أو أثر اسـلامي .. وكيف تكون تلك الحرب عـرقيـة وهم جميعا سـلاف بعضهم أسلم فى الماضى وبعضهم مازال على مسيحيته ؟ .

وبعـد انهيـارسعـر البترول فى الأسـواق هل يستطيـع العـرب حجب البترول بعض الشىء لـرفع سعره بعـد أن أصبحت مياه الخليج قـاعدة للبوارج الأمـريكية واصبحت الآبار كلهـا تحت حراسة الحلفاء الأمـريكان وأصبحت ارادة الأوبك فى تسعير النفط مرهونة بمصالح الحليف.. وأصبح وجود الأوبك نفسها وجودا شبحيا أقرب الى الظل منه الى الحقيقة .

واذا تركنـا الحاضر وعدنـا الى الماضى السعيد دعـونا نسأل : هـل جاء نابليون الى بـلادنا بدعوة وتذكـرة ضيافة .. أم جاء بـالأساطيل والبوارج ودخل علينا غزوا ؟!

وهل احتلت انجلترا القنال بالمراسلة أم بالمدافع ؟

ومن اختطف خمسـة عشر مليون افريقـى ليبيعهم فى أسواق النخـاسـة وليأخذهم عنوة فى السلاسل لبناء الامبراطورية البريطانية ؟!

ومن أبـاد الهنـود الحمر وأخـذ أرضـهم وبـلادهم وأسماهـا الولايـات المتحدة.

ومن قـام بـالعـدوان الثـلاثى الغـادر على مصر فى ١٩٥٦ الشيـاطين والاشباح .. أم الغرب المتآمر ممثلا فى فرنسا وبريطانيا وإسرائيل ..؟

وهل مايجرى فى الحاضر الا ابن شرعى لما حدث فى الماضى .. وبعد كل هذا نسمع من يبرىء الغرب ويغسل أيدى الأمريكان مما يجرى .. ويجعل منا نحن المتهمين الوحيدين والمجرمين الوحيدين والجناة الوحيدين والأعداء الوحيدين لأنفسنا .

ونسمع من يقول : ان الحديث عن التآمر هو حديث خرافة .. ومثله مثل من يرى الشمس وينكرها ..

●●●

ولا نعفى أنفسنا .. أى والله .. رغم كل شىء ، بل نقول أخطأنا وتكاسلنا وتخلفنا وأذنبنا .. ويقف لنا نوع آخر من الخصوم الجدليين هم العلمانيون ويقولون : بل كان ذنبكم هو الاسلام نفسه .. فهو الذى ربى فيكم التواكل والتسليم والاحساس بالقدرية وعدم الجدوى من أى عمل . فكل شىء مكتوب ، وكل شىء مقسوم .. وتقديسكم لحروف القرآن جعلكم تتحجرون على مدلولاتها فلا تفكرون ولا تجتهدون ، وأصبح كل همكم هو الحفظ والاستظهار والتلقى دون فكر أو ابداع ، وآثرتم الفقر والكسل .. وتفرقتم شيعا كل فرقة تحمى نفسها بالتشدد والتطرف واختلفتم وتصادمتم وتمزقتم إربا وذهبت ريحكم ولم يعد لكم شأن يذكر .. اتركوا الاسلام واقطعوا علاقتكم به كما قطعت أوروبا علاقتها بالكنيسة فى عصر النهضة وانطلقت تسعى بالعلم وحده فغزت العالم وسيطرت على مقدرات الأرض .. اتركوا الاسلام واغلقوا عليه أبواب المساجد وتعالوا معنا ننطلق بالعلم وحده .. وسنفتح الدنيا ونغزو العالم .

وكذبوا جميعا .. فما أمرنا الاسلام بالتواكل ، بل بالتوكل ، والتوكل يقتضى من المسلم أن يبذل وسعه وأن يستفرغ همته وأن يفعل أقصى مايستطيع ثم يتوكل ويترك أمر التوفيق لله .

وما أمرنا الاسلام بالتسليم لأحد بل لله وحده ، وما جعل القدر حائلا دون العمل ، بل أمر بالعمل . وقال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ للذى قعد عن التداوى وتصور أن مرضه قدر الهى .. قال له : تداوى فقد جعل الله لكل داء دواء .. وإنما تعالج قدر الله بقدر الله .. وكان نبينا أول العاملين ،

وقبل أن يموت كان قد دخل أكثر من ستين معركة مع المشركين ، ولو كان متواكلا لما ترك بيته ليواجه خطر الموت كل مرة .. وما أراد الله بنا أن نقف عند حروف القرآن ونكتفى بالحفظ والاستظهار والتلقى ، بل أمرنا بأن نعمل بها وأمرنا بالتفكير فيها والتدبر لمعانيها وقال فى كتابه الكريم :

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (٤٤ ـ محمد)

وفى كل آيا ت القرآن أوامر بالسير والنظر والتأمل والتفكر وطلب العلم .

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (١٠١ ـ يونس)

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الأرض كيف سطحت » (١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ الغاشية)

وفى تلك الآيات لفتات مختصرة لكل علوم الفلك والجغرافيا والأحياء .

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل » (٤٢ ـ الروم)

وفى تلك الآيات لفتات لكل علوم التاريخ والتطور ..

والمسلم الصحيح هو من يستزيد من العلم كل يوم ويقول : « رب زدنى علما » .

والزهد فى الدنيا هو أن تجعلها فى يدك لافى قلبك ، وبالتالى لاتتركها فى أيدى الآخرين ، والفقر والافتقار هو لما فى يد الله وليس لما فى يد الناس .

وفى مئات الآيات التى جاء فيها ذكر الإيمان جاء الإيمان مقرونا بالعمل: « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

ورغم أن الرسول الذى جاء بالاسلام أمى .. الا أن أولى آيات القرآن كانت أمرا بالقراءة : « اقرأ باسم ربك » .

والعمل كان أولى الشرائع التى نزلت بأوامر مكررة فى كل صفحة :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم »

وحذرنا الله من التفرق وقد جمع النبى قبائل العرب بعد فرقة وحقق الوحدة المستحيلة فى الجزيرة العربية .. والاسلام كان دائما رمز الوحدة والتوحيد .. والذين فهموا الاسلام بهذا المعنى كانوا أعلاما وقادوا الدنيا وعلموها وأناروها .

ولكن التخلف جاء حينما انحرفنا عن هذه المعانى وسرنا وراء الماركسى والعلمانى وأضعنا همتنا فى الكلام والجدل ، وبهرتنا فاترينات السلع الاستهلاكية والاختراعات التى تدفقت علينا من العالم الغربى فى هيلمان من الغزو الفكرى والثقافى والفنى أفقدنا التوازن وسلبنا هويتنا ولغتنا وعقلنا وميراثنا .

ومازال الغزو مستمرا .. وله الآن سماسرة .. ودول كبرى تساهم فيه .. وأجهزة اعلامية مفترسة تدخل كل بيت بالصوت والصورة والألوان والأغنية والرقصة .. ومدفعية من الصحف والكتب والاذاعات وأقمار تنزل علينا من الفضاء بما تريد من دعايات .

●●●

والحق منتصر بإذن الله ولو طال الأجل . فإن الله لم يخلق هذا الكون للعبث واللعب .

« وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين » (٣٨ ـ الدخان)

ولكن الله يمهل اللاعبين ويمد فى الحبل للعابثين لكى نتحرك نحن ويكون لنا دور وليكون لنا مقال وليكون لنا فعل ولتكون لناوقفة إزاء تلك المهزلة التى تجرى ومشاركة فى نهايتها .

ومائدة الله ممدوده تنادى : هل من طامع فى ثوابى؟

والكل غارق فى عسل الدنيا ، واقع فى حبائلها ، ضائع فى شباكها .. وقد غفلوا جميعا عن الموت القريب .

ذلك الموت الذى تدق أجراسه مع كل نبضة قلب هاتفة : ضاع يوم وما ضاع لن يعود .

وغدا تذهب السَّكْرة وتأتى الفَكرة !

أهون على الله أن تهدم كعبته
من أن يقتل مؤمن واحد ظالما

الاسلام برىء من أى جماعة تستعمله للوثوب على السلطة أو اغتصاب الحكم .. والاســلام ليس تمردا ولا فكـرا انقـلابيا .. وإنما الاســلام دعـوة وتبليغ وبيـان بـا لمنهج الأمثل للحيـاة الطيبـة وتعريف بـالله ووحـدانيتـه وعبـادته ، وتعـريف بالآخـرة والحساب ، ثم بعـد ذلك .. ليس بعد البـلاغ شيء.. وكل انسان حر يختار ما يشاء بإرادته ..

وإذا كان المسلمـون حاربوا الـروم والفرس فى الماضى فلتحـرير إرادة الشعـوب من جبروت الطغاة .. ومحور الاســلام كان دائما تحريـر الإرادة وتحرير الاختيار .

لا إله إلا الله .. لا حـاكم للوجود إلا الله .. تحرير من كل الأصنـام المادية والمعنوية .. وتحرير من الأوهام والمخاوف .. ومن كل ذى جبروت .

والاسلام السيـاسى هو صنـاعة رأى عـام بهذا المعنى وليس صنـاعة ثورة تضطهد الناس أو إرهابا يطاردهم .

ولايوجد حاكم فى الـدنيا لايهتم بالرأى العام فهو يستمـد قوته من قوة الـرأى العام الـذى يقف معـه .. ومن هنا تكـون قـوة الدعـوة .. وليس من عضـلاتها .. فســوف يحسب لها الحاكم ألف حساب لأنها صـوت الـرأى العام ومشيئتـه .. والله لم يجعل محمدا عليه الصلاة والســلام متسلطا على الناس ولا جبارا .. وإنما مجرد مبلغ .

« وما على الرسول إلا البلاغ المبين » (١٨ ـ العنكبوت)

« إن عليك إلا البلاغ » (٤٨ ـ الشورى)

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » (٢١ ـ الغاشية)

« نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار » ٤٥ ـ ق)

« ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » (٢٧٢ ـ البقرة)
« إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » (٥٦ ـ القصص)
« ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم » (١٢٨ ـ آل عمران)

وهذا كلام الله لنبيه الكامل الذى وصفه بأنه على خلق عظيم .

فماذا يكون قوله للحثالة الإرهابية التى تخرج على الناس بالمدافع الرشاشة لتهديهم .

لقد كذبوا جميعا ولا علاقة لهم بإسلام ولا بدين أى دين , إنما هم عملاء فى أيد أجنبية تحركهم .. والصحافة التى تصفهم بالإسلاميين المتطرفين تشوه الاسلام وتنعته بما ليس فيه .. وهى علينا وليست معنا .

وإنما استمدت الدعوة الاسلامية قوتها من القيم وا المثل والأخلاقيات التى تدعو إليها .

واستمد النبى عليه الصلاة والسلام قوته من خلقه وطهارته وأمانته وصدقه .

بل إن مفهوم المجتمع نفسه ومفهوم الوطن ، ومفهوم القومية فى القرآن ثانوى على مفهوم الفرد .

« أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به » (٩٢ ـ النحل)

إن الله جعل الأمة أداة لابتلاء الفرد وامتحانه .. لأن أخلاق الفرد لاتظهر إلا بما يفعله مع اخوانه وأهله ومجتمعه .. فا المجتمع ليس كائنا حقيقيا وإنما هو مجرد وجود اعتبارى ووعاء لظهور شر الفرد وخيره .

ولكن الفزد والذات الفردة هى الحقيقة الوجودية التى من أجلها خلقت الدنيا وأقام الله المجتمعات .

والفرد هو الذى يتوجه إليه الخطاب والامتحان والحساب والعقاب .

« ذرنى ومن خلقت وحيدا » (١١ ـ المدثر)
« ونرثه مايقول ويأتينا فردا » (٨٠ ـ مريم)
« وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » (٩٥ ـ مريم)

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع

بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » (٩٤ ـ الأنعام)

ومعنى ذلك أن المجتمع والوطن والقوم ليست كيانات وجودية بذاتها وإنما هى ضمن مايترك ، وضمن مايدع الفرد وراء ظهره حينما يدخل إلى القبر وحينما يلقى الله تعالى .

والمقصود من المجتمع فى الدنيا كان إظهار معادن النفوس وأخلاقها وسجاياها .

ونقف طويلا أمام مفهوم الأخلاق الاسلامية ،فقد اختلط هذا المفهوم كثيرا حتى على دعاة لهم مكانتهم .. فقد نسبوا إلى الشيخ محمد عبده أنه قال عنهم حينما زار أوروبا وعاشر الأجانب ورأى نظامهم وأخلاقهم : هؤلاء مسلمون بلا إسلام .. ونحن عندنا إسلام بلا مسلمين .

وهكذا نسب إلى الإنجليز والفرنسيين أخلاقا إسلامية لمجرد نظامهم وانضباطهم ،وهذا فهم خاطىء .. فالنظام والأخلاق عند هؤلاء الناس مفهوم نفعى تماما كالبقال الذكى والتاجر الذكى الذى اكتشف بفطنته أن الأمانة تكسب له جميع الصفقات بينما السرقة والغش والنصب لا يضمن له إلا صفقة واحدة.. فاختار الأمانة لأنها أنفع.

وهم اختاروا الأخلاق لأن لها عائدا ماديا.. فهى أخلاق برجماتية نفعية لا شىء فيها لوجه الله وليست هى الأخلاق الاسلامية التى أرادها الله خالصة لوجهه.

ونحن لانقف أمام الحديث النبوى الشريف الذى رواه الرسول عليه الصلاة والسلام عن المرأة الخاطئة التى وقعت على كلب عطشان يلهث فى الصحراء فسقته فغفر الله لها وأدخلها الجنة ، ولانفكر لم كان هذا الثواب العظيم من أجل سقيا كلب.. ولكن السر ليس فى مجرد العمل الصالح ولكن لأن هذا العمل الصالح لم تبتغ به المرأة سمعة ولا أجرا.. فلا أحد فى الصحراء الخالية كان يرى ما فعلت ولم يكن للكلب صاحب ليكافئها .. ولكن عملها كان خيرا خالصا .. ولم يكن له شاهد سوى الله.. نحن هنا أمام أخلاق ربانية (كما يرزق الله المؤمن والكافر لايبتغى على عطائه أجرا) ولهذا أثابها الله بعطاء بلا حدود.

يقول المحسنون فى القرآن : (إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا).

هنا الأخلاق الربانية الإسلامية التى يريدها الله خيرا خالصا.

« ألا لله الدين الخالص » (٣ـ الزمر)

ولايوجد عند هؤلاء الأوربيين والإنجليز والأمريكان الذين أعجب بهم الشيخ محمد عبده هذا المفهوم المجرد الخالص..فهم لا يقدمون شيئا لله،وإنما كل شىء بحساب وبدفاتر فى صندوق النقد الدولى وبعين ناظرة إلى ثروات البترول وإلى الفرص والأسواق هنا وهناك.

والأخلاق النفعية.. والأخلاق التى لاتظهر إلا مع الخوف.. والأخلاق التى لاتكون إلانفاقا وتزلفا.. ليست جميعها أخلاقا إسلامية، وإنما هى فى حقيقتها لؤم وانتهازية وفطانة ووصولية وألوان من الانتفاع الدنيوى.

ولايصح أن نصف بالأخلاق الإسلامية من لا مشروع لهم إلا النفع واغتنام الفرص واهتبال الدنيا.. فحسبهم ما أصابوا من الدنيا وليس لهم عند الله شىء. ولابد أن نعترف أن هناك قطاعا كبيرا من المسلمين بالبطاقة ممن ليس عندهم حتى هذه الأخلاق النفعية الدنيوية ولا هذا الانضباط.. وأنهم أقرب فى تخلفهم إلى قطيع الحيوان.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الاعتزال

الاسلام دين عمل ودين حركة ودين ايجابية وكفاح.

ومطلوب من المسلم أن يخوض أوحال الدنيا ليصحلها ، وأن يعالج خرابها ليعمره .ولكن السؤال : ماذا يكون الحال إذا طم الفساد وتفاقم الشر وتعاظم الكفر واستأسد الإجرام واستحال الإصلاح وغلب الخيرون على أمرهم؟

القرآن يجيب بأنه ساعتها يكون الاعتزال أمرا محمودا .يقول القرآن مخاطبا أهل الكهف حين اعتزلوا مجتمعهم الوثنى:

«وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته» (١٦ ـ الكهف)

ويقول إبراهيم فى القرآن للكفار من اهله : « وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى» (٤٨ ـ مريم)

فماذا كان قول ربه:

« فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق» (٤٩ ـ مريم)

لقد أثابه الله على هذا الاعتزال بأن وهبه اسحق.

ويحكى القرآن عن اعتزال مريم عن النـاس :« واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت مـن أهلها مكـانا شرقيا فـاتخذت من دونهم حجابـا فأرسلنـا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا».

فأى تكريم علوى قدسى نالته مريم على اعتزالها.

ويوصى محمد عليـه الصلاة والسلام المسلم فى آخر أيـام الدنيا حينما يفسد الكل.. أن يلزم بيته ويغلق عليه بابه.

إن المجتمع إذا فسد وانهار فإنـه لايساوى شيئاً فى مجموعـه أمام نجاة فرد واحد.. فالفرد هو مقصود الرسالة ومراد كل النبوات.

والفرد هـو الذى سـوف يبعث وسوف يحاسب والنفس هـى الحقيقة الخالدة ومصيرها الجحيم خلودا أو الجنة خلودا.

وإنما تمتحن النفوس بالمجتمع وتناقضاته.

والاسرة والقبيلـة والجماعـة والطـائفـة والامـة والـدولـة وكل الأبنيـة الاجتماعية هى المسرح الذى تعبر فيه النفـس عن خيرها وشرها وتجلى فيه مواهبها وتبوح بمكنوناتها مـن خلال الصراع والصدام والالتحام بالنفوس الأخرى.. والمقصود النهائى هى كل نفس على حدة.. يقول الله فى قرآنه:

« ذرنى ومن خلقت وحيدا» (١١ ـ المدثر).

لن نـدخل على الله فى جماعة ، ولن نلقـاه فى شلـة.. وإنما كلهم آتيه يـوم القيامة فردا.

ولن يستطيع أحد أن يلقى ذنبـه على الآخر أو على الأسرة أو على المجتمع أو على البيئة، فكل هـذا لم يكن سوى ورقـة الامتحان التى أريـد بها إخراج مايكتمه فى نفسه.. وهى أبنية أصبحت الآن هواء لا وجود لها.

ذكرت هـذا وجالت بنفسى كل تلك الأفكار حينما كنت أحـادث المخرج الـرائد كمال الشيخ فى التليفـون وأسألـه: أيـن أنت الآن فى السينما إنى لاأراك؟ فقال الرجل بنبرته الهادئة وصوته المهذب:

— لم اعـد أرى نفسي فى السينما الآن،فآثـرت الابتعاد والاعتـزال.. لم تعد السينما عملا محترما ولم تعد الأفـلام تحض على الفضيلة أو تدعو الى خير أو تقدم عبرة ، حتى أفلام التسلية لم تعد تقدم تسلية بريئة.. أصبحت السينما كـاراتيه وعنفـا ورصاصـا ودمـا وجنسا وإثـارة، لمجرد الإثـارة، وضحكا مبتـذلا ونكات مكشـوفة وتهريجا سفيـه.. حتى أفـلام المخدرات أصبحت تدعـو إلى المخدرات، لأن مشاهد التلذذ والنشـوة والغنى الفاحش تشيع بطـول الفيلم.. ولانـرى المصيرا المؤلم إلا فى لحظة عـابـرة فى النهايـة فيخرج المتفرج وهـو مشحون بلذة الكيف وقد نسى البـاقى.. لقد تحولت السينما إلى أداة إفساد صريحة.. ليس فى مصر وحدهـا ولكن فى العالم كله.. وأعلى الأجـور الآن تعطى لرمـوز العنف والتدمير أمثـال شوارزنجـر وإلى رموز الفحـش والعهر مثل مـادونا.. ولم يعـد المخرج فى بلدنـا يستطيع أن يسيطر على موضوعه أويختار مـادته فى جو فنى رخيص والوان من الإنتاج تبحث عن تغطية سريعة وكسب سريع أى كسب.

هناك استحالة أن يحترم الواحد منا نفسه ويستمر فى هذه الأعمال.

واحترمت الرجل واحترمت اعتزاله.

ولاأظن الـذين اعتـزلـوا السينما مـن ممثـلات الصف الأول.. كـانت عندهن أسبـاب أخرى.. إنما هى نفس الأسباب التى ذكـرها كمال الشيخ.. الإنحدار العـام فى مستوى المهنة.. ونفس الشىءفى المتفرج.. لم يعـد هناك أب محترم يفكر فى أن يأخذ أولاده ويذهب إلى السينما.

ونفس الشـىء فى مسارح الهزليات والتهريج والسـهر للفجر.

هناك انحـدار حقيقى وإسفاف وهبـوط فى الجو الفنى العام خـاصـة فى مهنة السينما.

وإذا كان هنـاك فيلم من كل مائة فيلم لـه قيمة ، فإن هذا الفيلم الـواحد لايمحـو قـذارات الأفـلام الأخـرى، ولا ينقـذ المهنـة من قـاع المزبلـة التى استقرت فيها.

والاعتزال هنا عمل ايجابى وليس عمـلا سلبيا لأنه انقاذ ايجابى للنفس من ضياع مؤكد .

إن القرآن حينما ذم اعتـزال بعض الرهبان قـال: «ورهبانية ابتدعـوها ماكتبناها عليهـم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فـآتينا الذين أمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون».

فهو سبحانــه وتعالى لم يذم الرهبـانية على إطلاقها وإنما ذم الـرهبان الفاسقين الذين لم يرعوا رهبانيتهم حق رعايتها.

وقال عن الرهبانية : « ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله» .

ومعنى هذا الكـلام أن الاعتزال والرهبـانية إن كانت ابتغـاء رضوان الله فأمرها مختلف وهى مقبولة ولها أجرها المؤكد رغم أن الله لم يأمر بها.

ولم يأمر الله بالرهبانيــة لأنها الاستثناء حين العجز وحين غلبة الفساد وإنما القاعدة هى الكفاح والمجالدة.

وأعتقد بعد أن ارتفعت الأطباق الضخمة فوق أسطح العمارات وانطلقت الاقمار الصناعية تبث أفلام العهر والانحلال.. أن الفسـاد يوشك أن ينقض بـلا موانع على النـاس.. وان هناك إغـراقـا مقبلا وغسيل مخ قـادما وأننـا داخلون إلى عصر رهيب.. وأننا نقترب من هذه الأيام التى قال عنها الرسول والتى يكون القـابض فيها على دينه كـالقابض على الجمر ويكون أجـر هذا المؤمن كأجر خمسين من صحابة محمد عليه الصلاة والسلام.

ونسأل الله اللطف.

القتـــل ثم القتـــل

المليشيات التى تتقاتل بالصواريخ فى كـابول وتدعى انها تفعل هذا من أجل الإسلام اقول لها: انه أهـون عند الله أن تهدم كعبته من أن تزهق روح برىء أو يقتل مؤمن واحد ظلما.. وذلك لأن الكعبـة هى البيت الرمز للرب ، أمـا قلب المؤمن فهو البيت الحق.. ومـايهدم من الكعبة يمكن أن يبنى ، أمـا من يقتل فمن يستطيع أحياءه.

يقول ربنا فى الحديث القدسى:

«لم تسعنى سماواتى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن».

فقلب المؤمن أوسع من السماوات والأرض، بل هـو المطلق اللامحدود فى سعته.. لأنه السر المفتوح على الملكوت ومـا وراء الطبيعة ومعدنه من معدن النفس والروح، وهو من اللطائف التى أودعها الله فينا ولا ندرى عنها شيئا.

وحينما تمتـد يد لتمـزق هـذا المحـراب وتهدم البنية التـى أقامهـا الله، وحينما تسقط الصـــواريخ وتنفجـر القنـــابل فتقتل من لا تعـــرفهم ومن لايعرفــوننا بــلا ذنب وبلا جريـرة.. وحينما تتمزق أجســاد الأطفال.. فإن السموات ترتعد من هول الاثم.

ثم نسمع من يقــول انهم متطـــرفــون إســلاميــون وهم لايمتــون إلى الإسـلام بسبب.

ونعجب كيف صدقـوا أنفسـهم وتصوروا أنهم يعملـون لهدف إسلامى وهـم يقبضـون مرتباتهم من المخابرات فى هذه الدولة أو تلك.. وكل جماعات بيشـاور كـانت تعمل بقيادة المخابـرات الأمريكية ، وتقــول الــ C. N. N أن حمكتيار تقاضـى ألف مليون دولار من المخابـرات الامريكية أثناء حربه مع السـوفيت ، وكان ســلاح تلك الجماعات وتمويلها أثناء قتـالها للسوفيت من المخابـرات الأمريكية.. ومــازالت العلاقــة مستمرة.. والجديد كـان دخول دول عربية لتساند هذا وذاك لأهداف ومصـالح يعلمها العليم.

وأشعر بالأسـى ..

مادخل الإسـلام بكل هذا؟ وكيف نسمح للغــرب المتربص بأن يجر قدم الإسلام إلى هذه المباءةليجعل منهـا ذريعة ليطارد الإسلام والمسلمين فى كل مكان؟

وكيف نــرضـى أن نطعن أنفسنا بــأنفسنا من أجل حفنـة دولارات ومن أجل البقــاء فى الكراسى أى كـراسـى.. بينما الأرض كلها تسحب من تحتنـا جميعا.. ونسـعى إلى حتوفنا دون أن ندرى والموت يشاركنا اللقمة كل يوم.

فهل أدرك الــذين يصنعون هــذا البلاء انهم يصنعــون مصيرهم ضمن مايصنعون.

هل أدركــوا انهم يلهثــون جـريا إلى الجحيم. وكلما أطلقــوا صــاروخـا ازدادت شهيتهم إلى هــذا اللقاء واشتعل شـوقهم فأطلقوا صــاروخا آخـر.. وماالشتاقت نفوسهم للجحيم إلا لأنها بضـعة منه .

وكل شـىء يحن لأصله والعياذ بالله .

ولهذا يتحدث عنهم ربهم بأنهم أصحاب الجحيم وأهلها الذين هم أهلها. هؤلاء الناس الذين تسليتهم القتل وبضـاعتهم القتل وتجارتهم القتل.

ساعة
الخلاص

كانت المتكلمة من البوسنة .. امرأة صوتها يتهدج من بين الدموع :

زوجي وأولادي قتلوا .. واخوتي تشردوا .. وجيراني أودعوا المعتقلات .. وبيوتنا أصبحت كومــة تراب .. في الحر القاتل لا نجد الماء وفي البرد الصقيع لا نجـد المأوى .. نغتصب وتهتك أعراضنــا ونقتل جوعـا وتمزق الشظايـا أجســادنا .. تسعــة عشر شهـرا من الجحيم والـرعب المستمر .. والســلاح ممنوع عنا حتى لا ندافع عن أنفسنا بينما هــو مبذول بكثرة لأعدائناليفعلوا بنا ما يشاءون .. لا أحد يسأل عنا .. خذلنا الجميع ولم يبق لنا إلا الله ..

نبكي ونصلي والقنابل تـدمدم فوق رؤوسنـا ونسجد على الأرض ونحن بين مقطـوع الـذراع والســاق ومهيض القلب والفـؤاد والـدمـاء تقطـر من جراحنا .

لماذا لا يأخـذ الله على أيديهم .. لماذا لا يهلكهم . أليـس هو مجيب دعـوة المضطر إذا دعـاه ؟ ومن يصحو وينـام في الاضطرار المستمـر مثلنا !! متى تأتي ساعة خلاصنا .

وكانت تبكي بين الكلمات وكنت أتقطع حـزنا وأسى وأنـا أسمعها وكنت أقول لها : إن الله منتقم لكم لا محالــة ، وأن عدالتـه قادمــة ولكن في ميقاتها الذي يحدده هو .. ولله سنن ثابتة فلـو أنه عجل العقاب للمخطيء وأخذ على يد الظــالم من فوره لما كانت هناك حكمــة لآخرة ولا مناسبة لحســاب ، ولو أنه منعــه من ظلمه لما كانت هنــاك حرية لأحـد .. وهو أمر ينـافي سنة الله في الخلق . فقد أرادنــا الله أحرارنا .. ومعنى أن نكـون أحرارا هو أن يكـون لنا هــامش تصرف نخطيء فيه ونصيب .. وهكـذا اقتضت الحرية التي أرادهــا لنا الله .. أن يسمح لنا بأن نضر وننفع .

وهكذا سبقت كلمته بتأخير العقاب إلى أجل مسمى وهذا بعض ما علمنا القرآن .

« ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم » (٤٥ ـ فصلت)

« ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم » (١٤ ـ الشورى) .

« ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً » (٤٥ ـ فاطر) .

وشكرتنى ووضعت السماعة بيد ترتجف وانقطع بيننا الحديث ولكن الكلام ظلت له توابع تتسلسل فى فكرى .. فالابتلاء هذه المرة ليس للصرب وحدهم .. ولكنه ابتلاء للعالم كله ولأهل الحضارة الغربية الذين يتشدقون بحقوق الإنسان ولسكان الجانب المسلم من الكرة الأرضية الذين يقولون أنهم حملة كتاب الله وأنهم الوارثون للعلم ..

بل إن الدائرة لا تدور على مسلمى البوسنة وحدهم بل هى تدور على مسلمى العالم فى أوروبا وآسيا وافريقيا فهم يقتلون فى الهند على يد الهندوس وفى كشمير وبورما على يد السيخ والبوذيين وفى سيرلانكا والفلبين وليبيرا .. وفى القدس والأرض المحتلة وغزة ولبنان توشك أن تبدأ المذبحة الكبرى للمسلمين على يد إسرائيل .

هذه المرة المذبحة شاملة والبلاء عام وتوشك إرادة العالم أن تجتمع على استئصال شأفة الإسلام من الأرض .

والله يكف يده عن هذا الظلم الفاجر لحكمه حتى يفضح النيات الخافية والمبيتة فى قلوب هؤلاء الناس المتحضرين والمتمدنين الذين كنا نأخذ عنهم علمهم وأخلاقياتهم وثقافتهم فى انبهار وننظر إليهم كأخوة كبار وكملهمين وأساتذة .. يريد الله أن يرينا هذه العلمانية التى فتن بها أولادنا وشبابنا والتى كتب عنها سلامة موسى فى افتتان وإعجاب وروجها بين أبناء جيلنا .. وجعل منها مثلا عليا آمن بها .. وضل وأضل غيره فى عبادتها .

هؤلاء الكبار حملة المثل العليا أراد الله أن نراهم فى ضوء الابتلاء الساطع كفرة فجرة طغاة لا إنسانيين .. وسفاحين قتلة .

وبمثل ما امتحنهم الله فإنه قد امتحننا نحن أيضا شعوبا وحكومات .

والامتحان مستمر والعلمانيون منا مازالوا يكتبون غثاء ويروجون غثاء ويتعبدون لقبلة انهارت قواعدها .

والذين اتخمهم الثراء تصوروا أن ثراءهم سيكون مانعهم يوم ينزل البلاء .

والذين زرعوا قصورهم فى أمريكا وفرنسا وسويسرا وأودعوا أموالهم عبرالبحر تصوروا أنها ستكون ملجأهم يوم تقع الواقعة .. وأنهم فى مأمن مما سيأتى به الغد .

ولكن كارثة هذه المرة شاملة وهى طامة كبرى على الإسلام فى كل مكان .

والله يمهل هؤلاء المخططين الأذكياء ويمد لهم فى الحبل ليفضح نواياهم ويكشف فصائلهم وأجناسهم وانتماءاتهم وقبائلهم .. كما يكشفنا لأنفسنا ويمتحن إيماننا وليكتب جنده وملائكته خفايا كل إنسان وحقائقه .. إنه الفرز المستمر . وطاحونة البلاء هى المفرزة الكبرى .

وحينما ينتهى الفرز ويتأكد التصنيف ويدون جنود الله الكاتبون توجهات كل فرد مشفوعة بأعماله وأقواله حينئذ يأتى أمر الله بنصرة الذين انتصروا له وخذلان الذين خذلوا كلمته . وكمثل ماجاء أمر الله على قوم لوط بالإهلاك والفناء رجما ، فتوسط النبى الأواه الحليم إبراهيم من أجلهم لعلهم يتوبون .. فقال له كبير الملائكة : « ياإبراهيم أعرض عن هذا .. إنه قد جاء أمر ربك وإنه آتيهم عذاب غير مردود » . نعم .. إنه حينذاك سيكون الأمر غير مردود والعذاب غير مردود .. والشفاعة لاسميع لها ولا مجيب ولو كانت من نبى .

ولهذا أقول لكل من يسمع ويرى ويتألم ، وأقول لكل من يعانى : لا تتعجلوا انتقام الله .. ولكن تعجلوا مواقفكم وتحسبوا أماكنكم .. ولتكن مواقفكم حيث أمر الله .

اجتمعوا على أمره وتفرقوا على أمره وكونوا ناصحين لحكامكم مرشدين لكباركم .

وحاولوا أن تجعلوا من أنفسكم صفا واحدا وليكن شعارنا لليوم

وللمستقبل هو : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. فالكل متربص بالكل .

ونحن لا نعيش فى ظل نظام عالمى جديد وإنما فى فوضى عالمية كاملة وفى غياب كامل لكل المعايير ، ومجلس الأمن والأمم المتحدة هياكل فارغة تحكمها مصالح الأقوياء وتقودها القرصنة الأمريكية والنخبة الصهيونية .

ورغم هذا الحاضر المظلم فإنى شديد التفاؤل شديد الثقة بأن الفجر يقترب وأن الصبح الوليد قادم من خلال هذا المخاض الدموى الرهيب .

وعمدة الأحكام عندنا هى كتابنا والله يقول فيه : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » (٣٣ ـ التوبة) .

وجاءت الآية مرة أخرى بنفس الصيغة فى سورة الصف وهى تاسعة آيات السورة .. هو إذن وعد صدق .. وهو لم يتحقق إلى الآن ، فظهور الإسلام كان فى قريش ولم يكن على الدين كله بل كان على أديان الشرك المحلية الموجودة وعلى يهود الجزيرة ، ثم فى أيام أبى بكر وعمر تخطى الجزيرة ليزيح وثنية فارس ونصرانية الروم ثم توقف عند بوابة القسطنطينية غربا وبوابة الأندلس شرقا ولم يدخل أوروبا . وبقيت آسيا كلها والأمريكتان ومعظم افريقيا وكل استراليا وباق يالعالم خارج الإسلام ونفوذه .

وبين خمسة آلاف مليون من سكان العالم هناك اليوم ألف مليون فقط من المسلمين والأربعة آلاف من الملايين الباقية من الأديان الأخرى .. فهو لم يظهر على الدين كله كما فى منطوق الآية .. بل إن الأكثرية الآن ومعها أقوياء العالم تتآمر عليه لإخراجه من حيز الفعل والوجود بالكلية .

وإذا كان ما نراه الآن من مذابح للمسلمين فى كل مكان بداية لتخطيط شامل ومقدمة لمعركة حاسمة فإنى أعتقد أنه هنا يأتى ميقات الآية الكريمة .. فإذا انتهت هذه القوى المتآمرة فى معركتها الفاصلة مع الإسلام إلى الهزيمة فإنه حينئذ سوف يظهر الإسلام على الدين كله .. لأن المواجهة هذه المرة ستكون عالمية مع جميع الأطراف ومع جميع الملل والنحل .

فهذه الآية تتحدث عن آخر الزمان الذى نحن فيه ولا تتحدث عما مضى وهى لابد تتضمن فى باطنها مواجهة شاملة ونصرا مطلقا .. وإلا فكيف

يظهر الإسلام على الدين كله وهو مضروب ومطارد ومضطهد من العالم كله .. إلا أن تكون هناك معركة خاتمة ونصر مؤكد يقلب الموازين ويظهر الحق .

إنه وعد إلهى إذن بنصر شامل مؤزر . ويلتقى هذا الوعد بالوعد الآخر الذى جاء فى سورة الإسراء والذى قضى الله فيه لبنى إسرائيل بأنها سيكون لها علو كبير وانها ستفسد فى الأرض مرتين وانه ستكون هناك معركتان ، ثم يصف المعركة الثانية بأنها « وعد » .. « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا »(أى يدخلوا القدس ويدمروا كل ما عَلاَّ اليهود وكل مابنوا وأنشأوا).

ولاشك أن إسرائيل فى قلب ما يجرى وفى قلب ما يحاك من إفساد وتآمر على الإسلام والمسلمين فى هذه الأيام ، وهى رأس الحربة فيما يخطط لنا فى كل مكان . فالوعد فى الآية الأولى بإظهار الإسلام على الدين كله .. والوعد فى الآية الثانية بانتصار المسلمين ودخولهم القدس وتدميرهم لكل ما أنشأ اليهود وكل ما بنوا .. هو نفس الشيء .. والآيتان تتحدثان عن حدث واحد يأتى فى زماننا وبه يظهر شأن الإسلام على الدين كله وتعلو كلمته .

وهذه قراءة تاريخية فى كتابنا أرجو أن تكون صحيحة فإننا نؤمن جميعا بأن وعد الله لا يتخلف لأنه سبحانه بيده مقاليد كل شيء وما يعد به ربنا لابد آت لا محالة .

وأقول لأبناء البوسنة الشجعان البواسل اصبروا وصابروا ورابطوا والحق منتصر بأهله وأبنائه وشهدائه بإذن الله ووعد الله لا يتخلف .

إنما هى البداية .. ولكل بداية نهاية .

●●●

ولن يكون ظهور الإسلام هذه المرة بعمل عسكرى من أعمال العنف ولا بانتصار وضيع ودنيء من مثل ما يفعله الصرب من فحش ونذالة بنساء البوسنة المسلمات وأطفالهن العزل .. وإنما بنصرة إليهة باهرة تنعقد لها الألسن وتخشع لها القلوب وينتهى بها الجدل ، وهذا يفسر الأثر الكلى الشامل المذكور فى الآية (ليظهره على الدين كله) هذه الكلية والشمولية لا تتأتى بالعنف ولا بالقهر ولكن بشيء يقطع الحجة وينهى

الشك ويحسم القضية ويجلى القضية .. وهل سمعتم عن سلاح يكسب كل القلوب والعقول هكذا من ضربة واحدة ؟!

ولا نمضى فى التحـديـد ولا ننزلق إلى التـأويل .. فهذه آيـات تفسيرهـا حدوثها .

وعن الميقـات المعلـوم .. فإنى لا أظنـه بعيـدا ، فـالحوادث التى تـدفق وتتسارع بمعـدلات فلكية لا تعطى فسحـة لأى ترا خ .. وبعـد أن انكشف الـدور العـدوانى للصليبيـة اليهـودة العـالميـة فى إشعـال الفتن وتأجيج الحروب فى كل وطن إسلامى وفى محاصرة الإسـلام فى جميع مظانـه ، فإنه لم يعد هناك مـا يدعو لانتظار .. خـاصة أن المناخ السياسـى ملائم وولاية كلينتون والنخبة الصهيونية حولـه قد لاتتكرر .. إنها فرصة العمر إذن .. والسنـوات الخمس القـادمة يجب أن ينجـز فيهـا كل شىء ، وسنـة الفين ميعاد رمزى له فى التوراة رنين خاص .

ومن يعش منا هذه السنـوات الخمس القادمة سوف يرى مـالايخطر له على بال .. ولأن مصر لها مكان محورى فى هـذه التحولات .. فسوف تحظى بحفـاوة لا مثيل لها من جميع جبهـات التـآمر .. وجميع مـدفعيـات الفتن موجهة إليها من الآن .

وقـد رأينا كيـف حاولـوا ضرب السيـاحة والاستثمار بقنـابل الـرعب والمسـامير ، وبمـوجة عـارمـة من الاعـلام الكاذب الموجـه بـدأت بتلطيخ الإسلام واتهام رموزه ، وانتهت بالتحـذير من السفر إلى مصر أو الاقتراب منهـا ، ثم صور عن الفقـر والقذارة وأكـوام الـزبالـة وأخبار عن أمـراض الاسـهال « وهـم سبب تلك الموجـات الوبائيـة من الاسهال بما يدخلـونه من مبيدات ممنـوعة ومـواد رش قاتلة وحيـوانات مـريضة » ثم الغـزو الثقافى العلمانى وإحياء مدارس الشك والتغريب .

والقنبلة القادمة حى محاولة تحطيم الذرة المصرية العجيبة فى تماسكها والتى تتـآلف نواتها من بـروتون إسـلامى ، ونيوتـرون مسيحى ، والتى استعصت على التحطيم منـذ محاولات الاستعمار الفـرنسى ثم الاستعمار الانجليزى .. ومازالت صامدة رغم الفتن التى تعـاقبت عليها أشكالا وألوانا وآخرها محاولات جس النبض التى حدثت فى صعيد مصر وانتهت بالفشل .

وينسى الأعداء بجميع نـوعياتهم .. إن المسيحيـة فى مصر هى مسيحية خاصة مختلفة عن مسيحية الغرب .. وإن الكنيسة المصرية لم تتحالف مع الكنيســة الأوروبيـة فى الهجمـة الصليبيـة الماضيـــة بل وقفت مع الجيش المصرى وحاربت الصليبيين وكسرتهم .

والوشــائج التى تجمع النصرانى والمسلم فى مصر كثيرة وعميقة . ونحن نتعايش ونتزواج ونتحارب معا منذ أكثر من ألف عام ، ويعلم النصرانى أن الإســلام يحترم العـذراء الطاهـرة مـريم ، ويقـول القرآن أن الله طهـرهـا واصطفاها على نساء العالمين ، وانــه وضـع ابنها المسيح مع الأنبياء الأكابر من أولى العزم ، وقال فيه انه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه .. كما يعلم النصرانى المصرى أن اليهود سبـوا عيسى وقالـوا انه دجـال وابن زنا وان أمه عــاهرة وهم يكرهون اليهـود كراهية التحريم .. ولن تـدخل الصليبية اليهودية مصر أبدا .. وإذا دخلت فستدفن فيها .

ومصر ليست لبنان ولن تكون .

ومع ذلك فإنــه حتى فى لبنان وبعـد ست عشرة سنة من الحرب الأهليـة اليت ســاندتها فـرنســا وأمريكـا وأوروبـا والفــاتيكان فشلت الصليبيـة اليهودية فى أن تصل إلى أهدافها فى تقسيـم لبنان وتغيير التركيبة السياسية فيها ، وعــادت لبنان الجريحة كما كانت وبنفـس النسبة القديمـة فى جهاز الحكم من المسيحيين والمسلمين ، ورأينـا نحن هنـا من فظائع هـذه الحرب الأهلية وعدم جدواها مـا يجعلنا نحذر ألف ألف مرة المسلم والمسيحى معا هذه الفتنة وأن نحاربها صفـا واحدا بكل ما نملك من إرادة وتصميم ، وهـم فى هــذه الأيـام يجمعـون التبرعـات فى أمـريكـا بـاسم الكنيســة المصريـة المضطهـدة ويسربـون المنشـورات عن دولة قبطيـة مستقلـة فى الجنـوب عاصمتهـا أسيوط والجولة القادمـة هى تكريس هذه الفتنــة .. بضع قنابل ورصـاصـات طائشــة مأجورة يسقط فيها قتلى من المسيحيين .. على أمل أن تــرتفع شكـوى من نصـــارى مصر إلى الأمم المتحـــدة من ظلم المسلمين وعدوانهم .. تعقبها قرارات بحظـر الطيران على خط عرض أسيوط .. ويبدأ التفتيت .

ولن تحقق تلك الأحلام .. لأنها أحلام دنيئة يروجها لؤم صهيونى أشد منهـا دناءة .. ولـن يحدث ذلك التحالف أبـدا بين قبط مصر ، وبين اليهـود الصهـاينة الـذين يعلم القبط من إنجيلهم أنهم أشد عـداوة لهم ولمسيحهم من الشيطان نفسه .

ولكن سوف تحدث المحاولة ولا أستبعدها .

وعلى كل مسئول أن يفتح عينيه جيدا ويـرسل جواسيسه ويسبق رياح الفتن قبل أن تهب .

ولقد ضحك الصهاينة على المسيحيين فى أمريكا وأقنعوهم بنبوءة كاذبة بأن المسيح لن ينزل من السماء إلا بعد ذبح المسلمين فى معركة هرمجدون، وكـونوا فـرقة إنجليـة أمريكيـة تروج لهذا الإفك وتجمع التبرعـات لمعركـة هـرمجدون القادمـة « يقولـون إنها سوف تحدث فى فلسطين فى السنـوات القليلة القادمة » وقـد وقفت الكنيسـة المصرية ضد هذه الفـرية وحذر الأنبا شنودة من اتبـاعها .. وقـد عرفنا المسيح نبيـا داعيا إلى المحبـة ولم نعهده سفاحا داعيا إلى مجزرة .

ولكن اللؤم الصهيونى لا تنتهى حيله .

وهـم فى انتظار المسيخ الـدجال الـذى سوف ينـزل على جبل صـهيون ، ويأتـى بالخوارق ويصنع الأعاجيب .

والمسيخ الـدجال شخصيـة موجـودة فى كتبنا وهى واردة فى أحـاديث الرســول عليه الصلاة والسلام ، وهـو ساحر يستعين بـالجن والشياطين وعلـوم الكـابـالا « العلـوم السريـة السفليـة لليهـود » ويأتى بـالخوارق والعجائب .. وهـو يجىء فى آخر الزمان ويتبعـه خلق كثير ثم ينزل المسيح الحقيقى ويقتله .

والمجىء الثـانـى للمسيح وردت بـه إشـاريات فى القــرآن والكثير من المسلمين يؤمنون به .

ولا شك أن نـزول المسيح بشخصه وشهـاداته على الملأ بمن هـو ومن يكون .. هل هو ابن الله أو عبد الله ، وبحقيقة ما حدث فى شبهة الصلب وبمن

كان لــه ختم النبوة ومــا شريعته التى يأمـر بها « وجميع الأنبياء فى قـرآننا مسلمــون من آدم ونوح وإدريس إلى مــوسى وعيسى ومحمــد .. وجميعهم على عقيدة لا إله إلا الله ودينهم التوحيد المطلق » .

أقول إن شهــادة المسيح بشخصه لمحمــد عليه الصــلاة والسلام ربما تكون هى المشار إليها فى إظهار الدين بــالكلية والشمولية والعمومية التى تقطع الحجــة وتنهى الشك وتحسم القضية فى الآيــة التى بدأت بها الكــلام والله اعلم .. وقد تكــون المواجهة مشهديــة على يمستوى جيــوش تأتى فيها النصرة بشكل بــاهــر يتحــدى جميع التــوقعــات ويلجم الألسن .. والكيف والمتى عند الله هو وحده العالم بهما .. ولكــن النصرة قادمة وظهور الإســلام على كل الأديان حقيقية قرآنية لاشك فيها .

ولا أحب أن أحملكم على جناح الغيب وأتوه بكم فى الظنون بينما الحرب معلنة علينــا فى الواقع والأعداء يحتشدون لنــا ويتكاثرون علينا ويــزرعون الشوك والألغام والموت فى طريقنا . وأقــول نفتح عيوننا على الواقع أفضل .. ونستعد بكل مــا نملك لنخوض هــذه اسنوات العجــاف ، وتعقد عهــد أخاء ومحبــة نصارى ومسلمين بــأن نحارب معــا كل من يمس شبرا واحــدا من أرض مصر ، وكل من يتعدى على قطرة من نيلها .. ويكون هذا ميثاق الوقت الذى نعاهد الله عليه .. والله معنا ما دمنا يدا واحدة .

●●●

ويسـألــوننى لماذا كل هــذه الثقــة بانتصــار الإســلام رغم تخلف أهلــه وانقاسمهم وفقــرهم ومهانتهم وجهلهــم ، ورغم أنهم بلا سيف وبــلا قوة وبلا سند ورغم كل هذا الظلام المطبق الذى لا يبدو فيه خيط نور .. فأقول لهم : نعم .. سيف الإســلام الآن مكسور وأهلــه متخلفــون وجهلة وفقــراء ومنقسمــون ، ولكنه مع ذلك يــا أخــوة ورغم ذلك ينتصر الإسلام ويغــزو القلــوب وينتشر فى كل بقـــاع الأرض بل وفى قلب بــاريس ولنـــدن وبــرلين ونيويــورك ، يتقدم كل يــوم أجانب لشيوخ المســاجد هنــاك ، ويطلبون أن يسلموا ويتعلمــوا أركان الإسلام .. هكــذا ببســاطــة .. ونقرأ عن كتب تخرج

من قلاع الكفر تشيد بالإسلام وبتعاليمه وبنبيه .. وآخرها كتاب مراد هوفمان السفير الألمانى الذى أسلم واختار عنوان كتابه :
« الإسلام هو الحل البديل » .. ومن قبله جارودى الذى جاء إلى الإسلام من قلعة الشيوعية ، وكتب عشرات النشرات والكتب .. ومن قبله موريس بوكاى وليوبولدفايس ، وغيرهم وغيرهم .. وهذه معجزة الإسلام .. فهو يتقدم وينتصر بقوته الذاتية ويحدث هذا فى أشد أحوال المسمين تأخرا وانحطاطا .

وقد انتصر صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين وكانت مصر فى أسوأ أحوالها . وانتصر قطز على التتار وكانت المماليك شراذم تقاتل بعضها بعضا.

إن الإسلام له سر ربانى وله سلطان فى ذاته وهذا ما يجعل أعداءه المسلحين حتى الأسنان يرتجفون منه رعبا ويحسبون له ألف حساب وقتل المسلمين يا أخوة شىء آخر تماما ولا يعنى أبدا قتل الإسلام .. والمسلمون أكثرهم موتى بالفعل وكل ما يستجد أن موتهم يعلن .. وهذا أمر هامشى تماما ، فمن مات الإسلام فى قلبه لا يدخل تحت تعداد المسلمين، أما من يحيا الإسلام فى قلوبهم فلا خوف عليهم ولا سبيل لأى سلطان فى الأرض عليهم .

والعالم مقبل ولاشك على منعطف خطير من التحولات .. ولا أظن أن زيارة بابا الفاتيكان لأمريكا كانت لإنشاد التراتيل . فالرجل سياسى من الدرجةالأولى وهو لا يرى فى سقوط الشيوعية فى روسيا صحوة لكل الأديان بل يراها صحوة واجبة لدين واحد هو المسيحية الكاثوليكية والرجل مخلص على طريقته . وما جاء الرجل لأمريكا ليضع سلاما بين الأديان بل ليضع سيفا ، وأموال الفاتيكان تنفق حاليا فى تسليح الكروات وكانت من قبل تنفق فى تسليح كاثوليك لبنان فى الحرب الأهلية ، وهذه الأخبار ليست من عندى بل رددتها وكالات الأنباء مرارا وتكرارا .

أقول هذا الكلام لأساقفة العلمانية فى بلادنا الذين يقولون نطرح الأديان وراء ظهرنا ونحل مشاكلنا بأسلوب علمى لا دينى .. وأقول لهم : أفيقوا من خبالكم .. أننا مقبلون على جهنم .. وادعو الله ألا ينجرف نصارى

مصر فى هذا التيـار العنيف المدمر .. وأن تكـون مصر فى عيوننـا جميعا وأن تكون لـوحدة مصر الأولوية عى كل اعتبـار ، فمصر فى ذاتها قيمة .. ومصر هى مهبط الرسالات وكعبـة التوحيد وهى فى عين الله وفى رعايته وقـد ذكرها الله بالاسم وبالإشارة فى قرآنـه أكثر من أربع عشرة ، مرة وقـد كانت مصر رمزا دائما للتعـايش بين الأديان وللتسامح والسلام .. فحـافظوا على مصر من أجلكم أنتم ومن أجل القيم التى تدافعون عنها .

محتويات الكتاب

رقم الإيداع ٢١٥٥ / ٩٤
I.S.B.N.
977 - 08 - 0211 - 5

طبع بمطـــابع دار أخبـــار اليـوم

الإسلام فى خندق ..
الإرهاب يحاصره عن شمال..
والعَلْمانية تضرب فيه من اليمين..
وأطماع الغرب الاستعمارى تهدده من الأمام .
وتخاذل الدول العربية وتفككها يهدده من الوراء .
والأمية الإسلامية تضرب عليه خيمة من اليأس .
ما المصير .. ؟
وما المخرج.. ؟
هذا موضوع كتابنا .

■ الثمن ٥ جنيهات ■
طبع بمطابع دار أخبار اليوم